الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية الآداب واللغـــات
قسم اللغة و الأدب العربيّ

الصراع الإيديولوجي في الرواية السورية المعاصرة
"الموت عمل شاق" لخالد خليفة أنموذجاً

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربيّ تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالبة: لندة بوخشم
إشراف الأستاذ: رشيد هوشات

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
علاوة ناصري	أستاذ محاضر_أ_	جامعة العربي التبسي– تبسة	رئيســاً
رشيد هوشات	أستاذ مساعد_أ_	جامعة العربي التبسي_ تبسة	مشرفا ومقرراً
عبد الله شنيني	أستاذ مساعد_أ_	جامعة العربي التبسي_ تبسة	عضوا مناقشاً

السنــة الجامعيــة: 2017م – 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله ﴿تعالى﴾، في محكم التنزيل: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ (النمل/19)، فلله الحمد على ما أنعم عليَّ من نعمه الكثيرة حمداً وافراً ، يليق بجلال عظمته والشكر له دوماً على ما أغدق به عليَّ من فضله وأعانني على إتمام هذا البحث، وأنَّ جعلتني ممن يسعون طلباً للعلم.

ولقوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)"رواه أحمد أبو داود والبخاري".

فامتثالاً بهذا الحديث: أتقدم بوافر الشكر والعرفان والتقدير لأستاذي **رشيد هوشات** الذي تفضل عليَّ بالإشراف بهذه الرسالة فكان سنداً لي طوال مسيرة البحث، ولم يبخل عليَّ من وافر علمه شيئاً، فأقدم له شكري وامتناني لما قدمه لي من إرشادات ونصائح وتصويبات لأخطائي، لهذا فلقد كان صاحب الأثر البالغ والفضل الجميل في إتمام هاته الرسالة.

كما يسعدنا أن نتقدم بخالص امتنانا لأعضاء اللجنة

اللذين تكرموا علينا بقراءة هذه المذكرة ومناقشتهاأا وابداء رأيهم بهاو اسداء النصائح القيمة بهذه المذكرة فتقبلوا منا تحياتنا المعطرة وشكرنا الجزيل.

فلكم مني جميعاً الشكر والعرفان والإمتنان.

كذلك فإنني أود أن أشكر كافة المؤطرين لعملي .،فلكم مني جميعا الشكر،العرفان والامتنان.

الإهداء

إلى من كنت نتاج غرسها ونِنتِ زرعها وثمرةكدها أمي أوَّلاً وثانياً وأخيراً

إلى كلِّ من علمني حرفاً أو أفادني بكلمة يوماً.

إلى كل رفيقات دربي:

رجاء، دعاء، ريان، رانيا، سناء، أميرة،فريدة،

زينب، خديجة، رحيل، أنيسة، شهناز، ريمة

مروى، إيمان، أسماء، لينا، تقوى، أميمة، خلود

مي، ندى، شذى، أصالة، رميساء، حورية

أميمة، هدى، لبنة، سارة وإلى كل من عرف شخصي يوما ما...

إلى من يسكن الفؤاد، الروح والكيان.

إلى جميع أفراد أسرتي الكريمة وأخص بالذكر خالاتي وأخي.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي وعصارة فكري.

Lynda- BKM

المقدمة

تربعت الرّواية على عرش الأدب منذ ظهورها، فاستقطبت عددا لا يستهان به من نفر الباحثين، ونظراً للمكانة المرموقة التي تحتلها الكتابة الروائية في ميدان الإبداع الأدبي ولأنها ترتبط بمختلف مجالات الحياة فإنَّ كاتبها سيعبر عنها تعبيراً دقيقاً صادقاً عن وضع الصراع الإنساني، وتكشف عن حقيقته حسب وجهة نظره ورؤيته الخاصة.

إنَّ الأدب عامة والرواية خاصة، ماهي إلا إنتاج إيديولوجي، فارتأينا أنْ ينصب اهتمامنا على الرواية العربية السورية، وهذا بعد التمعن في صفحات رواية "الموت عمل شاق" لـ: "خالد خليفة"، فامتلأ فكرنا بكم هائل من الشحنات الإيديولوجية التي تعبر عن الواقع المرير الذي آل إليه إليه الوضع في بلد الياسمين سوريا.

فكان عنوان مدونتنا الموسومة ب: الصراع الإيديولوجي في الرواية السورية المعاصرة، الموت عمل شاق لـ:خالد خليفة –**أنموذجاً**–

وهو بحث نعمل من خلاله على إشكالية يمكان صياغتها كالتالي:

- ماهي أهم المفايهم الاصطلاحية التي يدور حولها موضوع البحث ؟
- ما علاقة الأدب بالإيديولوجيا ؟
- كيف استطاع الروائي تجسيد الصراع الإديولوجي في عمله الروائي ؟

إنَّ لكل باحث في موضوع ما دوافع تتأتى وراء اختياره له، وبدورنا فإنَّ لنا ما نبرر به اختيارنا فلقد كان هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

أمّا عن الأسباب الذاتية فهي:

- الشغف الجمّ بالكتابة الروائية وتفضيلنا إيّاها عن باقي الأنماط الأدبية.
- الرغبة في الإحاطة والإلمام بعلم السدريات والولوج بعالمه العميق.
- ملائمة الموضوع مع التخصص الذي ندرسه، ورغبتنا في التطرق إليه.

أمّا فيما يخص الأسباب الموضوعية، فهي كالتالي:

- انجذابنا لعنوان الرواية، الذي أغرانا للخوض بأعماق صفحاتها وكشف خبايا الصراع الأيديولوجي الحاصل في سوريا.

- قلة الدراسات التي تتناول موضوعات الصراعات الإيديولوجية بالرواية.
- البحث عن العلاقة القائمة بين الأدب والأيديولوجيا.

أمّا عن دوافع اختيارنا لرواية الموت عمل شاق فلأنها تصور العنت الذي يلاقيه الإنسان السوري.

وللوصول للمبتغى في هذه الدراسة فلقد استعنا بآلية الوصف والتحليل؛ وذلك لأنها أكثر ملاءمة لموضوعنا.

بعدما تم جمع المادة رسمت لنا ملامح الخطة فتوزعت كالتالي:

المدخل وهو العتبة الأولى للولوج في موضوع بحثنا فتحدثنا فيه نظرياً عن علاقة الإيديولوجيا بالنص الروائي من حيث النشأة والتطور، ثم تلاه الفصل الأول تحت عنوان جينالوجيا المصطلح، تطرقنا للحديث فيه عن حدود مفهومي الأيديولوجيا أولاً، الذي كان مفهوماً زئبقياً محاطاً بالغموض وهو ما جعلنا ننطلق من عدة نقاط مختلفة حتى نضبط دلالته. ومن بعده ثانيا عرجنا على مفهوم الصراع ومن ثمة وضع العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا، ولقد كان هذا الفصل نظرياً بحتاً.

أمَا **الفصل الثاني**، فلقد وسم بتمظهرات الصراع في الرواية، وانصبت الدراسة في هذا الشق من البحث على كشف اللثام عن أنواع الصراعات التي تتواجد بين ثنايا الصفحات هذا من جانب، ومن جانب آخر أردنا معرفة ثنائية الحب والموت في زمن الحرب من خلال سرد الوقائع والأحداث ويأتي بعد هذا البحث جوابنا عن السؤال المطروح ما رمزية الأب في الرواية ؟

ثم ينتهي بحثنا بخاتمة جاءت كحوصلة لما جاء بين طياته وما توصلنا إليه من نتائج.

وفي ما يخص الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع الذي قمنا بدراسته نجدها نادرة، إلا بعض المقالات المنشورة على صفحات الأنترنت، وذلك لكون الرواية حديثة

الولادة، إضافة إلى الرسالة المعنونة بالخطاب السردي في رواية الموت عمل شاق لخالد خليفة لسعاد براهمي، هذا على حسب حدود علمنا.

وككل بحث، فإننا ارتكزنا على مجموعة من المراجع الهامة من بينها: الأدب والأيديولوجيا لعمار بالحسن والنقد الروائي والايديولوجيا لحميد الحميداني، ومفهوم الأيديولوجيا لعبد الله العروي.

أمَّا بخصوص الصعوبات التي واجهتنا، فبفضل الله تمكنا من تجاوزها وهي:

- قلة اطلاعنا بعلم السرديات، فواجهتنا الصعوبة في البداية خاصة ما تعلق منها بالجانب التطبيقي.
- شحُّ الدراسات التي تتناول العمل الروائي المتمحور حول البحث.
- معظم المصادر المتاحة تبدو منحازة للغاية وغالباً ما تكون ذات طابع دعائي، ففي العالم العربي نوع من الحضر على التحدث والكتابة العلنية حول التناقضات الطائفية والإقليمية.

وأخيراً لا يسعني إلاَّ أنْ أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من مدَّ لنا يد العون والمساعدة في انجاز هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل **رشيد هوشات** الذي تكفل بهذا البحث والإشراف عليه منذ أنْ كان فكرة إلى غاية تبلوره، كما لا ننسى أنْ نتوجه بجزيل الشكر للأستاذ يحي الشريف، الذي يبخل علينا بمكتبته التي كانت معيناً، له عظيم الفائدة وإلى أستاذتي المحترمة رويقي التي كانت بمثابة أمي الرؤوم، كما لا يفوتنا أن نجزل بالثناء لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي وإدارته وعلى رأسهم الأستاذ محيّ الدّين بلال، وإلى عمّال المكتبة أخص بالذكر صوالح فرحات وحسام رزايقية.

وإلى أعضاء اللجنة المناقشة، لما بذلوه من جهد القراءة وتقويم البحث وتوجيهه ويجدر الإشارة هنا أنَّ لكل عمل إذا ما تم نقصان وهذا كله توفيق من عند الله تعالى.

مدخل

علاقة الإيديولوجيا بالنص الروائي

I- علاقة الإديولوجيا بالنص الروائي:

1- علاقة الإيديولوجيا بالنص الروائي (النشأة والتطور):

يتغيا هذا المدخل تسليط الضوء على علاقة الإديولوجيا بالنص الروائي، فالحديث عن هذه العلاقة لا يكتسي طابع إثبات الحضور الإيديولوجي في مظهره المباشر وتمثله الجمالي في النص فحسب، بل بإعتباره مساهماً في تشكيل جمالية الكتابة الروائية، ممثلة في أنساق أسلوبية وظفت في مراحل تاريخية محددة، إذا فموضوعنا يدور حول كشف تلك التعالقات إعتماداً على مستويين:

الأول معرفي (تاريخي) تؤسسه الأعمال النقدية في نظرية الرواية، والثاني يمثل تلك الأبحاث النقدية التي تناولت بالدراسة علاقة الإيديولوجيا بالأعمال الأدبية الروائية.

إنَّ الدراسات النقدية المهتمة -**خاصة**- بتاريخ الرواية، ترتبط نشأتها وتطورها مع تطور تاريخ المجتمعات الأوروبية ،هذا ما ذهب إليه "جورج لوكاش" (George Leckas) في قوله : « **الرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع الأوروبي /.../ ولم تبدأ في الظهور إلا بعد أن صارت الشكل التعبيري للمجتمع البرجوازي** » [1]، ذلك أنَّ الرواية هي الجنس الأدبي الأوروبي الذي جسد قيم البرجوازية على شكل ملحمة نثرية، في مقابل الشكل الشعري الذي ظل سائدا لمدة من الزمن يمجد الآثار البطولية الفردية عكس ما تصوره الرواية من تبلور واضح لحركة المجتمع، ذلك لأنها ردَّت الإعتبار للإنسان العادي ومنحت الثقة بالنفس في خلق واقع جديد وقيم تتلاءم مع تشكيلته الإجتماعية ،فالرواية إذن تبقى على حد قول "**لوكاتش**" :«**جنس أدبي دياليكتيكي، أيْ تتحقق فيه جدلية "نعم" و"لا"**»[2] بخلاف الملحمة التي غيبت الإنسان العادي ،وقزمته ،وجعلته غير قادر على مواجهة الواقع ،هذا ما

---

[1] جورج لوكاتش، الرواية، تر: مزراق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م، ص:08.

[2] نخبة من الدارسين، الرواية والواقع، تر: رشيد بن حدو، دار قرطبة، عيون المقالات، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1988م. ص:68.

تجسد في ملامح القرون الوسطى فهو ما يسمى بالعصر الملحمي ،بعد هذا ظهرت الشخصية الإنسانية في شكل صور من التمرد والنهوض المتناقض.

وبظهور الرأسمالية تحللت القيم الثقافية والمعرفية الإقطاعية وفقدت مكانتها على المستويين: الإجتماعي والأخلاقي.

ولكون الرواية جنس أدبي، فهي في المقام الأول تصور للوعي الإجتماعي الذي يجسد القناعات والرؤى السائدة في المجتمع، لتؤسس على شاكلته آليات التغيير الحاملة لميزات الوعي في الرواية فهي /.../ «**مكان تجميع إيديولوجيات أو عناصر إيديولوجيا تطابقات إجتماعية متصارعة** »[1]

على الرغم من إمتداد الرواية تاريخياً في أساليبها السردية منذ العصور الوسطى، فإنها انفردت في مراحل لاحقة بتشكيل عناصرها الفنية ممثلة في معارف ثقافية واجتماعية جديدة، ولم تساير الكتابة الأدبية للملحمة، خاصة في التشكيل الأسلوبي والدليل على ذلك ظهورها في عصر النهضة وعدم قدرتها على احتواء الحياة الجديدة، بكل ماتحمله من تناقضات وحقائق واقعية في المجتمع.

إنَّ الحس أو الذوق الكلاسيكي الحامل لرؤى عهد التنوير، لم يقف عند انزلاق الإقطاعيات إلى مستوى سحيق فحسب، بلْ فسح المجال لتلك الصراعات الجديدة التي ساهمت إلى حد ما في رفع الأسلوب التعبيري إلى آفاق رحبة، تعبر عن الرؤية الفنية الملائمة لحركة اجتماعية ترمي إلى فك تلك القيود المفروضة على الأفراد غي العملية الإبداعية، والتخلص من أشكال الخضوع للعالم الأخلاقي والمثاليات السائدة.

هكذا تميزت الرواية بميزتين أساسيتين :

-**الأولى:** إستمدت جذورها من الملحمة الأوروبية

[1] عمار بلحسن، الأدب والإديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1984م، ص:96.

-**الثانية:** استمدت مبادئ العهد البرجوازي الصاعد ،يقول "**لوكاتش**": « **الرواية عبارة عن ملحمة برجوازية /.../ فالرواية كشكل فني بديل للملحمة في إطار التطور البرجوازي** »[1]

لقد شكلت نظرية الرواية مرحلة تاريخية من مراحل النظرية العامة كالفن الملحمي فبهذا الطرح الثنائي، يمكننا القول أنَّ العملية الإبداعية تحتوي على عناصر ثابتة، وأخرى متغيرة تتماشى وفقاً للمتطلبات الثقافية والفنية للمرحلة التي تسايرها.

فالنص الروائي على الطريقة البرجوازية يسعى إلى إبراز بنيات المجتمع البرجوازي، حتى ولو كانت مواقفه سلبية، كما يختلف النص الروائي عن الملحمة في تأطيره للأحداث والأبطال وطريقة العرض

فالملحمة: « **/.../ تعرض للفعل في قيمة تطوره دون شرح للحيثيات وتقدم مفهوماً خاصاً للبطولة، فبطل الملحمة هو بطل فعلي يجسد القيم الإجتماعية المثلى، على عكس بطل الرواية الذي ليس فعلبا بل هو بطل شكلي** ». [2]

تعتمد **الرواية** على التشكيل السردي في إبراز العلاقة بين البطل والمجتمع عكس ماتبرزه الملحمة التي تعتمد على التشكيل الشعري في التصوير الفني للقيم الملحمية، ليسهل عليها السيطرة والإمساك بالقيم الفكرية الجاهزة، فهذا النوع من التشكيل الملحمي لا يمكنه أنْ يستوعب تلك العقد الإجتماعية للمجتمع البرجوازي، ويعبر عنها بوضوح ودقة، فتركيبة المجتمع المعقدة تستلزم نمط نثري قادر على رصد وإحتواء الجديد من الأحداث والوقائع اليومية، فتغييب الفرد في المجتمع البرجوازي يستلزم أسلوباً للكتابة الروائية أكثر شفافية ودقة، فيكون التوليد السردي في الرواية حامل لطاقة دلالية فيساعد على تلبية رغبات الفرد المغترب الذي أصبحت طلباته الفنية تتشكل على شكل أسلوب نثري يدقق في الجزئيات الإجتماعية ويراعي قيمة الذاتية، ولا يشكك في قدراته النازعة نحو التغيير .

---

[1] جورج لوكاتش، الرواية، ص:13.

[2] Lucien goldman : pour une sociologie du roman, editions Galimard,Paris,1964,P.26.

ربما يكمن الفرق بين التشكيل الشعري الملحمي والتشكيل الأسلوبي السردي في تغير الأسلوب الفني وكذا تغير الجمهور المتلقي، فجمهور الملحمة أقرب إلى المجتمع الإقطاعي، في حين أنَّ جمهور الرواية أقرب ما يكون إلى الطبقات المتوسطة، فالتوجه النقدي السابق الذي يرى أنَّ الشكل الروائي لم يتزامن مع نشأته الأولى، بل جاء بعده بمراحل أيْ أنَّ الرواية لم تتبلور إلا بمرورها بعدة مراحل وتحديداً مع المدرسة الإجتماعية، فحقيقة **نظرية الرواية:** « **لم تتبلور وتبرز للوجود إلا مع هذا المنهج أو على الأصح بفضل أشكاله المتعددة** »[1] فالمنهج الإجتماعي كشف من آلياته التحليلية بإعتماده على تحليل العامل الإيديولوجي في حقل الدراسات السوسيولوجية، بإعتباره أنَّ الأدب بنية فوقية فكرية وثقافية للمجتمع، ويمتلك طاقة كبيرة للتعبير عن التصورات والقناعات الإيديولوجية، بلْ وأكثر من ذلك أنه أداة تأثير ودعاية في المجتمع.

في سياق المنهج السوسيولوجي نميز بين توجهين أساسيين وضيفتها الأساسية التنظير للجنس الروائي، وكذا النظر في علاقته بالمجتمع، بعكسه للقيم الفكرية والثقافية التي يتميز بها المجتمع، فالتوجه الأقل الموسوم بـ:"**سوسيولوجيا الرواية**" أو "**النقد السوسيولوجي للرواية**" متفرع إلى **فرعين:**

الأول: يحمل على عاتقه البحث عن القيم والنظم الإيديولوجية التي تتبناها الرواية، ومدى تكاملها مع الحالة الواقعية الإجتماعية، فتصبح بذلك الرواية وثيقة إيديولوجية.

الثاني: يحمل على عاتقه البحث عن تلك المؤثرات الإجتماعية والمادية والسياسية والتاريخية، ومدى تأثيرها في توجيه البنية للنص الروائي.

أما التوجه الثاني الموسوم بـ: "**سوسيولوجيا النص الروائي**" أو "**السوسيونصية**" فيحمل على عاتقه البحث في بنيات النص الروائي دون الرجوع أو الإعتماد على القيم الفكرية والبنيات التكوينية. فالنص الروائي تشكيل لغوي ونظام فكري فني يجسد كل عناصر

---

[1] حميدان الحميداني، النقد الروائي والإيولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافة العربية،بيروت– لبنان، ط1، 1991م، ص:55.

الواقع الخارجي، فهذان التوجهان عبر عنهما "**حميد لحميداني**" في كتابه "**النقد الروائي والإيديولوجي**" .

نخلص مما سبق إلى أنَّ الأدب وبخاصة الرواية أداة لتصوير الحياة الإنسانية عامة، والحياة الإجتماعية على الخصوص، فهي تعكس تطور النشاط الفكري والمعرفي للمجتمع، ولأنها شديدة الصلة بالمجتمع فهي تعبر عن بنى فكرية واجتماعية واقتصادية تفسر من خلالها أفراد الجماعة سر وجودها الفكري والمادي وكما أنَّ الصراع بشتى أنواعه مشروع في المجتمع، فكذلك الكتابة الأدبية لها مشروعية التعبير عن هذا الصراع الاجتماعي، وقبل أنْ تنتهي مداخلتنا لابد من توضيح نقطة التعالق بين أيديولوجيا الرواية ورواية الإديولوجيا.

أ- إيديولوجيا الرواية:

الشائع وما اعتدنا عليه أنَّ الكاتب لا يعبر بالضرورة عن وضعيته، فإيديولوجيته لا تظهر مباشرة «لأنَّ فيها بعض الطموحات التي لم تتحقق في الواقع » [1]، فما يختلجه الكاتب من إيديولوجيا يمررها عبر سطوره بشكل غير مباشر لذلك يرى "**ماشيري**" أنَّ الأدب أداة لعرض أيديولوجيات بعينها فيقول «**فهو (الأدب) لا يمثل الإديولوجيا ،ولكنه يعرض لها مع إظهار تناقضاتها وفجواتها ، من هذا المنطلق كانت فكرة أن النص الأدبي ليس تعبيرا عن الإيديولوجيا بقدر ماهو إخراج لها** »[2] يقر "**ماشيري**" بمدى أهمية النص الأدبي وسلطته الفاضحة للإيديولوجيا في النص هو الحوار والصراع فكليهما شرط إلزامي في التشكيل الإيديولوجي.

إنَّ الكاتب مطالب بالحياد التام ليطلق حرية المطلقة لباقي الأصوات وأشكال الوعي المختلفة لتقديم إيديولوجيتها والتعبير عنها، ومنها فإن "**باختين**" يرى بأنَّ الدليل اللغوي مشحون بإديولوجيا تجسد الصراع الإجتماعي، وتدخل في سياقه ولأن الرواية في فحوها أساليب مختلفة تشكل نظاماً من الدلائل فإن «**كل شخصية وكل هيئة تمثل في الرواية إلا**

[1] المرجع السابق، ص:28

[2] زيما بيير، النقد الاجتماعي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر، (ط01)، القاهرة- مصر، 1991م، ص:211.

ولها صوتها الخاص ولغتها الخاصة وأخيرا أيديولوجيتها الخاصة . وهكذا فلا حاجة تدعو إلى مقابلة الرواية بالواقع لأن الواقع حاضر على المستوى اللساني نفسه »[1]، الأيديولوجيا إذنْ تعطينا خصوصية معينة في مقابل إيديولوجيا الآخر سواء كان صوتاً واحداً أو صوت جماعة وهذا التناقض هو منفذ الروائي في تشكيل حبكته، وهو المنطلق الذي أسس عليه "**باختين**" مبدأ الحوارية الذي جعله أساساً تقوم عليه الرواية، حيث أنَّ العمل الروائي– حسبه « **إطار تتفاعل فيه مجموعة من الأصوات والخطابات المتعددة، إذ تتحاور متأثرة بمختلف القوى الإجتماعية من طبقات ومصالح فئوية وغيرها** » [2].

الكتابة الروائية مجال واسع تتفاعل فيه الأصوات وتتحاور وفق قوى مهيمنة من إطارات إجتماعية مختلفة لكن الصوت الأبرز هو صوت البطل الذي يهيمن على عالم الرواية « **لا يمكن أنْ يوضع إلا بجانب حقل آخر للرواية، وإيديولوجيته إلا بجانب إيديولوجيا أخرى** »[3].

إنَّ تحليل الصراعات الإيديولوجية داخل الرواية بإستعمال آليات الحوار وتشريع البنى اللغوية التي تعكس الصراع على المستوى الآخر خارج النص وإستيعاب طبيعة الصراع يفتح المجال للحديث على موقف الكاتب وموقف الرواية تجاه أيديولوجيات أخرى لأنه « **عندما ينتهي الصراع الأيديولوجي في الرواية تبدأ معالم إيديولوجيا الرواية في الظهور** » [4]، فما كان واضحاً في قالب الرواية من إيديولوجيات تنتهي بنهايتها ،لتبدأ إيديولوجيا الرواية في حد ذاتها بالوضوح.

---

[1] لحميداني حميد، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص:33.

[2] البازغي سعدو الرويلي ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، (ط04)، بيروت– الدار البيضاء، 2005م، ص:211.

[3] المرجع نفسه، ص:32.

[4] لحميداني حميد النقد الروائي والأيديولوجيا، ص:32.

ب/ رواية الإيديولوجيا:

الإيديولوجيا تدخل الرواية كعنصر جمالي لا يؤدي إلا وظيفة التشكيل لمادة حوارية بالدرجة الأولى، فهي مادة غير مصنفة وغير متحكم فيها، ولا محكوم عليها،لذلك تقول "**جوليا كرستيفا**" «**إنَّ النص المتعدد الأصوات(polyphonique) الحاملة للشكل** »[1] فتصبح عناصر إغناء للمادة الحكائية –**الرواية**– وسط الكثير من الأيديولوجيات المتوفرة سلفاً في الواقع أو متضمنة في نصوص أخرى، لذلك تستعمل "**كرستيفا**" مصطلح "**الأيديولوجيم**" **(Ldèologeme)**، وتقصد به «**الوظيفة التناصية التي يمكننا قراءتها وهي تتمظهر ماديا على مختلف مستويات بنية كل نص والتي تمتد خلال صيرورتها مانحة إياه كل مطابقاتها التاريخية والإجتماعية** » [2].

تظهر الإيديولوجيات في فحو الكتابة الروائية بوضوح خاصة في الرواية الديالوجية « **كأنها موجودة في حقل إختبار لمعرفة صلابتها وقوتها في مواجهة الأسئلة التي توجه إليها من طرف القارئ**» [3] الرواية –**إذن**– تفسح كل الدروب الممكنة لأي سؤال يطرحه القارئ لصفحاتها، فهي تختزن حمولات فكرية عميقة، يحاول القارئ الكشف عنها، فالكاتب مهما توخى الحياد ففي نهاية عمله تتميز أيديولوجياته كتصور يضع الرواية وسط دائرة أوسع ورؤية للعالم وتصور إتجاه معين، بهذا تكون الرواية عنصر أيديولوجي بإمتياز.

من أجل ذلك تعتبر الرواية نظام إرغامات أيديولوجي تتحول فيه مفاهيم الإنتاج والتدليل، ولكنه يؤسس لأجزاء المعنى الشامل .

نختم ماجاء في المدخل بعد إضافة مفهومين إل أنَّ كل رواية ماهي إلا عبارة عن نظام من الدلائل والواقع عنصر حاضر في الرواية، وعلى هذا الأساس فإن أيديولوجيا الرواية مكون جمالي لها يتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص وهذا

---

[1] المرجع السابق، ص:50.

[2] يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، (ط02)، بيروت– الدار البيضاء، 2001م، ص:20.

[3] المرجع نفسه، ص:43.

مايقصد به أيديولوجيا الرواية، أمَّا عن الرواية كأيديولوجيا فنحن نقصد من ذلك الصراع القائم في ثنايا الرواية مما يفضي بالكاتب إلى موقف محدد وهو ليس موقف الأبطال أو الشخصيات، وإنما تصور الكاتب المترجم في ختام عملة.

الفصل الأول

الفصل الأول: جينالوجيا المصطلح

1- مفهوم الإيديولوجيا.

أ- لغة

ب- اصطلاحاً

2- مفهوم الصراع.

أ-لغة.

ب- اصطلاحاً

3- الأدب والأيديولوجيا

جينالوجيا المصطلح:

أولاً: مفهوم الإيديولوجيا:

أ- لغة:

يحمل مصطلح ايديولوجياً طابعاً دينامياً وغير ثابت، فإختلفت أبعاده وتعريفاته بتباين التيارات الفكرية والتوجهات السياسية .

أما لغة وبما أنها كلمة دخيلة عن اللغة العربية فهي لم ترد في معاجم اللغة وقواميسها القديمة فقد عرفها معجم اللغة العربية المعاصرة كالآتي:

1-**{مفرد}:** مذهب سياسي أو اجتماعي "يشهد العالم الآن صراعاً بين إيديولوجيات عدة"

2- علم الأفكار وموضوع دراسته الأفكار والمعاني وخصائص وقوانينها فأصولها وعلاقاتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص .

3-**أيديولوجية{مفرد}:** ج أيديولوجيات: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها الشعب أو امة أو حزب أو جماعة [1].

نستنتج مما سبق أنَّ **الأيديولوجيا** مذهب وعلم للأفكار يهتم بالقيم والمعاني ويركز بصورة أدق على أصولها التي ينتمي إليها مجموعة أو حزب أو أمة او جماعة ثم إنَّ "**المصطلح إيديولوجيا**" متشكل لغوياً من جزئين على حد تعبير المفكر الفرنسي "**ف.دومون**"**(f.dumont)** فيقول: « **ومن ثم الإيديولوجيا والمشكلة لغويا من الكلمتين اللاتينيتين (Idèo):** بمعنى فكرو. **و(Logie):** بمعنى علم **تعني حسب الترجمة العربية علم الأفكار، ويعود تحت هذا المصطلح أو التركيب إلى المفكر الفرنسي دستوت دي تراسي (Destutt de tracy)سنة 1817م**»[2].

---

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (ط01)، القاهرة- مصر، 2008م، ص:144.

[2] ف. ديمون: الإيديولوجيات، ت ر أسعد وجيه، الإيديولوجيات، منشورات وزارة الإرشاد القومي، دمشق- سورية، 1977م. ص:22.

لقد زاوج "**دستوت دي تراسي**" يبين كلمتين في مجمل **المصطلح الإيديولوجيا، الأولى:** فكرو **الثانية:** علم فتكون على الترتيب المنطقي علم الأفكار أو الفكر.

والجدير بالذكر أنَّ مفهوم الإيديولوحيا يكتنفه الكثير من الغموض النابع من الظروف النشأة فهو ظاهرة النشأة فهو ظاهرة غير ثابتة .

كما أنَّ كلمة **الأيديولوجية** قد جاءت في المعجم الفلسفي كالآتي: **الأيديولوجية:** (Ideology):

منهج في التفكير مبني على الإفتراضات المترابطة والمعتقدات وتفسيرات الحركات أو السياسات الإجتماعية.

ومن **الإيديولوجيات** الأخرى الرأسمالية والديمقراطية والفاشية والمساواة بين الجنسين والاجتماعية والعنصرية والكاثوليكية الرومانية والشمولية أو الدكتاتورية [1].

لقد سلط التعريف السابق الضوء على أنَّ الأيديوليجية منهج قائم على الإعتقادات والتفسيرات التي تنتهجها سياسات مختلفة ومن الأيديولوحيات الفاشية والرأسمالية /.../

ثم إنَّ **مصطلح الايديولوجيا** قد استخدم لأول مرة عند **دي تراسي،** وأصبح متداولاً بدءاً من الثورة الفرنسية ليدل على الفلسفة التي تطرح الفكر الميتافيزيقي جانباً ودراسة الأفكار دراسة علمية وهو « **مصطلح لاتيني الأصل إستخدمه لأول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي»** في مطلع القرن التاسع عشر » [2].

شاعت كلمة إيديولوجياً انطلاقاً من بدايات **القرن التاسع عشر** وكان "**دي تراسي**" السباق في تناول المصطلح.

---

[1] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة، عمان- الأردن، ط1، 2009م، 106، 107.

[2] عبد الوهاب الكيلالي: موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص421.

ومنه «**فكلمة إيديولوجيا استخدمت علانية أثناء الثوؤة الفرنسية عام (1796م) وتشير الأيديولوجيا عند "تراسي" إلى علم الأفكار الجديد (Idea.ology)، أيْ علم الفكرة بصورة حرفية** » [1]

لقد صنف كل معاني مفردة **الإيديولوجيا** اللغوية حول العلم الذي الذي يدرس الأفكار دراسة علمية بحتة، وذلك إنطلاقا من التجربة والملاحظة وصولا إلى نتيجة معينة.

ب- اصطلاحاً:

إنَّ مفهوم **الإيديولوجيا** من أكثر المفاهيم صعوبة من حيث تحديد جوانبه مما يصعب على الباحث إستيعاب كل المفاهيم والتعاريف التي اختلف حولها المجتهدين، ولعل أولهم أصحاب الفكر المادي الجدلي .

ترعرع **مصطلح الإيديولوجيا** في بيئة التصورات المادية وتحول في كنفها ثم انفصل عنها واستقل منها، ونستعرض هذه الأسماء بدء من ماركس وانتهاء بألتوسير.

1-كارل ماركس (K .Marks):

استخدم "ماركس" المصطلح في عنوان عمله المبكر "الأيديولوجيا الألمانية" « الذي كتبه مع رفيق عمره "فريديريك إنجلز" (1820-1895) والذي يحتوي على أوضح وصف أورده ماركس لرؤيته عن الإيديولوجيا » [2]، كانت **الأديولوجيا الألمانية** عنوان الثمرة اجتهاد **ماركس** و**إنجلز** حيث وردت كامة إيديولوجيا تلك الأخيرة التي أوضحها ماركس في ثنايا الكتاب ، ويعرف لنا ماركس الأيديولوجيا قائلاً: « **إنَّ أفكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الأفكار السائدة في المجتمع حيث تشرف على وسائط الإنتاج الفكري وأنَّ أولائك الذين يفتقرون إلى وسائط الإنتاج الذهني يخضعون لهذه الطبقة السائدة** »[3]

---

[1] أندروهيد، مدخل إلى الإديولوجيا السياسية، تر: محمد صفار، المركز القومي للتربية، (ط01)، القاهرة- مصر، 2012م. ص:15.

[2] المرجع نفسه، ص:15.

[3] كارل ماركس، فريدريك أنجلز، الإيديولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، مصادر الإشتراكية العلمية، دار دمشق، (ط01). دمشق-سورية، 1976م، ص:56.

ومن قول "**كارل ماركس**" نستنتج أنَّ **الإيديولوجيا** تندرج ضمن الجانب الفكري الذي يطلق عليه البنية الفوقية وتلك الأخيرة هي المسؤولة على الجانب الفكري فالأفكار للطبقة السائدة هي التي تسطو على الأغلبية في المجتمع –**الطبقة الدنيا**–

2–جورج لوكاتش(Geong Luka):

طور "**لوكاتش** "**نظرية** "**ماركس**" عن **الإيديولوجيا** التي إنحصرت في أفكار المجتمع الطبقي فيقول في ذلك « **الوعي الفكري كإمكانية فكرية تشمل الأفكار والفلسفة والنظريات والتصورات التي يمكن أن تشكل وعيها أيْ العناصر الأكثر تقدما ومستقبلية** » [1].

تظم الأيديولوجيا كل ماله علاقة بالفكر ،فهي تشمل الفلسفة والتصورات والملاحظات التي يبني عليها الوعي ، ويقول أيضا : « **إنَّ وعي البروليتاريا الطبقي هو حقيقة التطور كذات ليس مع ذلك ثانيا ، إنه دائما يشابه ذاته ويتحرك حسب قوانين آلية** » [2].

يشير **لوكاتش** إلى أنَّ **البروليتاريا** لا تقدر على بناء وعي خاص بها، فتبقى تابعة إلى قواعد أطرتها الرأسمالية وفرضتها عليها، ومنه فإن الشعوب ليست حرة، وإنما هي خاضعة لسلطة الطبقة الحاكمة التي بدورها تعمل على التأشير في البنى التحتية للمجتمعات.

3–أنطونيو غراميشي (Antonio Gramshi):

اختلف "**غراميشي**" **مع** "**ماركس**" **ليبين و** "**لوكاتش**" في كون **الإيديولوجيا** وعي زائف أو تشويه للواقع، فيقول في هذا الصدد « **يعود الخطأ في النظر إلى قيمة الإيديولوجيا إلى كوننا نعطي إسم الإيديولوجيا إما إلى البنية الفوقية /.../ وإما إلى الإنشاءات الإعتباطية لأفراد معينين ، لقد أصبح المعنى السيء للكلمة شائعا** » [3]

---

[1] جورج لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي، تر حنا الشاعر، دار الأندلس، (دط)، بيروت– لبنان، 1979م، ص:48.

[2] المرجع نفسه، ص:44.

[3] محمد سيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الإديولوجيا، دار توبقال للنشر، (ط01)، الدار البيضاء–المغرب، 2006م، مجلة دفاتر، (ع08)، ص:36.

لقد كان إذنْ مفهوم **الإيديولوجيا** لدى "**غراميشي**" مختلفاً عن غيره وأرجع المفهوم السائد بالنسبة لماركس وغيره معنى شائع خاطئاً.

ويقول أيضا: « **إنَّ الإيديولوجيا تنظم الجماهير وتشكل الميدان الذي تتحرك فيه، وتعيش داخله وفيه شخصيتها ومهامها وأهداف صراعاتها ونظالها، إنَّ فعالية الإيديولوجيا تبدو هنا ضرورية تاريخيا** » [1].

وفي هذا السياق تظهر لنا الإيديولوجيا كأداة لتنظيم المجتمع وتأسس لهياكله الرئيسية التي تشكل من خلالها، فهي ضرورة وحتمية لتشكيل الوعي الأصيل « **فهي الإسمنت الضروري الذي يسلح الطبقة الإجتماعية ويصلبها ويشكل وعيها الأصيل لذاتها** » [2].

ومنه نستنتج أنَّ **الإيديولوجيا** من منظار غراميشي تنحو إتجاهاً إيجابياً، فهي تنظم الأفكار إذْ أنها تؤثر إيجابياً على البنية التحتية للمجتمع.

4- فلاديمير لينين (Vladimir Lenin):

أعطى "**لينين**" مفهوم **الإيديولوجيا** عند الماركسيين بعداً إيجابياً، وذلك بإعتبار تلك الأخيرة سلاحاً عقائدي تتسلل به الطبقات الإجتماعية، فيقول: « **تشير الإيديولوجيا إلى الأفكار المميزة لطبقة اجتماعية معينة تلك الأفكار التي تقدم مصالحها بغض النظر عن موقعها الطبقي** » [3].

إذنْ تخدم الأفكار الناتجة عن الأيديولوجيا -**بالنسبة للينين**- أفراد المجتمع دون مراعاة الإنتماء الطبقي لأصحاب هذه الأفكار، فلكل طبقة إيديولوجيا بما أنها تساعد في تأسيس المجتمع.

---

[1] غرامشي، عن طريق النصوص، جم و مقدمة فرستوار بسكي، المطبوعات الاجتماعية، باريس، 1977م، ص:193-194.

[2] عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1984م، ص:84.

[3] أندروهيود، مدخل إلى الإديولوجيا السياسية، ص:17.

5- لويس ألتوسير(Louis Altusser):

اسنعمل الفيلسوف الفرنسي "**ألتوسير**" الإيديولوجيا في قاله الموسوم بـ: "الإديولوجيا" وأجهزة الدولة الإديولوجية" ويعرف **لويسس الإيديولوجيا** فيقول: « **ذلك النسق الذي يملك منطقة منطقه وصرامته الخاصة من التمثيلات كالصور والخرافات والأساطير والأفكار والمفاهيم -تبعاً لكل حالة-** » [1]، وبهذا الطرح تبدو الإيديولوجيا ضرورية لكل مجتمع كونها عبارة عن مستوى من مستوياته فالإنسان هو الذي يفصح عن ما يود قوله للعالم تلك الممارسات الإجتماعية، فيستحيل وجود تلك الممارسات بعيداً عن ثوب الإيديولوجيا.

نخلص في ختام هذه الآراء إلى أنَّ المصطلح قد أخذ أوجه متبانية من التعريفات، كل حسب توجهه وتصب كلها في الأفكار، الطبقات والمجتمع .

وتأتي بعد أصحاب المفهوم، جهود عربية حاولت الإمساك بالمصطلح من زاوية ما، ونذكر منهم نديم البيطار، (**عبدالله العروي ،زكي نجيب محمود ،عبد العزيز عزت ...**).

أما بالنسبة لنديم البيطار، صاحب **كتاب** "**الإيديولوجية الإنقلابية** " (1964م)، فقد أعطى كلمة إيديولوجيا سيمات ذات طابع عنيف فإستخدم تعبير " الأيديولوجية الإنقلابية" ويقول في تعبيرها:« **إنَّ الأيديولوجيا الإنقلابية نظام أو سلسلة من المبادئ والنظريات والعقائد، يصور فيها إتباعها المرحلة التاريخية التي يمرون بها والعلاقات التربط بينهم وبينها، إنَّ الأيديولوجيا الإنقلابية التي يعينها، هي بكلمة مختصرة المفهوم العام الذي يحدد علاقة الإنسان بالمجتمع والتاريخ والحياة** »[2]

وتلاحظ أنَّ **المفكر السوري** قد ربط بين مصطلح الإيديولوجيا والإنقلابية ليدلل على الجانب السياسي فهو يقر على أنّ الوضع العربي انقلابي والنفسية العربية غير انقلابية، مما

---

[1] لويس ألتوسير، من أجل ماركس، دار ماسيبيرو، (دط)، باريس، 1965م، ص238.

[2] فضل الله محمد إسماعيل، عبد الرحمان خليفة، الأيديولوجيا وفلسفة الحضارة، مكتبة سيتان المعرفة، (ط05)، الإسكندرية- مصر، 2005م، ص:39-40.

سيتلزم انتقال الإيديولوجية التقليدية إلى أيديولوجية انقلابية ويقرر أقواله بـ: « **أنا انقلابي إذن أنا موجود** »[1] فإثبات الذات لابد له من إنقلاب أولاً.

ونجد "**عبد الله عروي**" قد ألف ثمرة علمية بعنوان "مفهوم الإيديولوجيا" وقبلها ألف "الإيديولوجيا العربية المعاصرة "

لقد جعل "**العروي الإديولوجيا**" اشتقاقاً عربياً، إذْ يقول: « **فأستعمل كلمة أدلوجة على وزن أفعولة وأصرفها حسب قواعد العربية، تقول أنَّ الحزب الفولاني يحمل أدلوجة ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها /.../ وأنَّ الحزب الذي لا يملك أدلوجة هو في نظرنا حزب إنتهازي ظرفي ، لا يهمه سوى إستغلال النفوذ والسلطة.**» [2]

استعمل "**العروي**" لدى تغريب كلمة إيديولوجيا مفردة "**أدلوجة**" التي على وزن "**أفعولة**" وتعني مجمل الأهداف، القيم والمبادئ التي يراد تحقيقها، وأعطى في ذلك مثال عن الأحزاب، فالحزب الذي لا يملك إيديولوجيا هو حزب انتهازي للسلطة، هذا عن كناب مفهوم الأيديولوجيا، أمّا كتابه الثاني فقد استعمل فيه بكيفية أو ساع مواد التاريخ العربي لربط المنظومات الفكرية الجارية لدى العرب.

أمّا "**زكي نجيب محمود**" فالإيديولوجيا في نظره عبارة عن كلمة تدل على مذهب معين مدعوم بأفكار ومعتقدات يناصرها فئة من الناس إذْ يقول: « **وواضح أن كلمة إيديولوجيا دخيلة عن اللغة العربية إذ جاء معناها الذي هو علم الأفكار عند أول من أنشؤوها في فرنسا ، واذا إخترنا لها إسما عربيا فأنسب ما أراه هو كلمة مذهبية** » [3].

نخلص من قول "**زكي نجيب محمود**" إلى أنه قد أعاد المصطلح إلى موطنه والأصلي وهو البيئة الفرنسية والتي كان يعني فيها علم الأفكار في حين يتخذ زكي نجيب من المذهبية مرادفاً له بإعتبار كليهما يلف حوله نفر من الجمهور.

---

[1] عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، (ط05)، الدار البيضاء–المغرب، 1933م، ص:152

[2] زكي نجيب محمود، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص:32.

[3] لحميداني حميد النقد الروائي والأيديولوجيا ومكانتها في الحياة الثقافية، مجلة فصول، النقد الأدبين (مج05)، (ع04)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة– مصر، 1985م، ص:28.

وأخيراً يعرف "**الدكتور عبد العزيز عزت**" الأيديولوجيا فيقول:« **مجموع الأفكار والمعتقدات وإتجاهات التصور والتصديق التي تشخص جمعاً معيناً من الناس سواء كان هذا الجمع أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات الإجتماعية، أو مذهب من المذاهب يعبر عن الملل والنحل لأهل هذا الجمع أو حزبا من الأحزاب السياسية** » [1].

ووردت الإديولوجيا لدى عبد العزيز عزت بمجموع الأفكار والمعتقدات التي ينتمي لها الناس سواء كانو أمة أو احد الطبقات الإجتماعية أو مذهب يلتف حوله من الملل والنحل من هؤلاء الناس، أو أحد الأحزاب السياسية.

لقد صبت كل الآراء العربية في خانة الإتجاه السياسي وفي كون الإيديولوجيا مذهب له أصحابه ، وأيضا تلك الأفكار والمعتقدات التي سيشارك فيها الناس المنتمين إليها.

ثانياً: مفهوم الصراع

أ- لغة:

الصراع من مادة "صَرَعَ": الصَّرْعُ، الطرحُ بالأرض وخصه من التهذيب بالإنسان، صارَعَهُ فَصَرَعَهُ يَصْرَعُهُ صَرْعًا وصِرْعًا، الفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب فهو مصرُوعٌ وصرِيعٌ والجمع صرعى والمصارعة والصراع: معالجتهما أيهما يصْرَعُ صاحبه وفي الحديث: مثل المؤمن كالخاصة من الزرع تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى أيْ تميلها وترميها من جانب الى جانب والمصرع موضوع ومصدر، قال هوبر الحارثي:

بمصرعنا النعمان، يوم تألبت علينا تميم من شظى وصميم

تزود منا بين أذنيه طعنتـــــه، دعته إلى هابي التراب عقيم. [2]

لقد وردت كلمة الصراع لدى "**ابن منظور**" بمعنى الطرح على الأرض، وصارع أحد آخر لعدم تفاهمهم، فيصرع طرف غيره كما تصرع الرياح الزرع كما ذكر ذلك الحارثي.

أمَّا كلمة صراع في اللغة العربية المعاصرة فهي:

---

[1] فضل الله محمد، عبد الرحمان خليفة، المرجع السابق، ص:35.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، (ط03)، بيروت- لبنان، 2004م، (مج02)، ص:227.

« صراع: مصارعة // صراع، قتال، كفاح، كفاح، نضال: صراع سياسي، صراع مسلح، الحياة صراع دائم // نزاع، خصومة: صراع عقائدي، الطبقات: هو بحسب الماركسيين نزاع حتمي بين العمال المنتجين والرأسماليين المتسلطين على الإنتاج يوجهونه لصالحهم »[1] .

تناول "**أنطوان وآخرون**" مصطلح **الصراع** من خلال المنجد حيث يعني النضال والكفاح ويكون الصراع بين الطبقات أو بين العقائد أما من منظور الماركسيين فهو نزاع بين المنتجين والرأسماليين.

ب- اصطلاحاً:

الصراع ظاهرة سلوكية وسمة قديمة جديدة، كان أولها النزاع الأخوين قابيل وهابيل إلى غاية صراعات الساعة في زمننا الذي يعج بالصراعات التي سببها الإختلاف في توجهات والتفكير وبأخذ الصراع اشكالاً متعددة منها صراع الفرد مع نفسه أو مع الافراد أو الجماعات أو الدول ...

« **عملية تفاعل اجتماعي بين طرفين أو أكثر تبدأ عندما يدرك أحد أطرافها أنَّ الطرف الآخر يعيق أهدافه مما يخلق لديه شعور بالإحباط، يقوده إلى تفسير طبيعة الموقف ومقاصد الطرف الآخر وبالتالي إلى القيام بسلوك معين، قد ينتهي الصراع أو يؤدي إلى تطورات أخرى واستمرار الصراع** »[2].

وحسب القرويتي، فإن الصراع عملية تفاعل طرفين أو اكثر، يكون فيها المتصارعين غير متفاهمين .

---

[1] أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، إش: صبحي حموي، دار المشرق، بيروت- لبنان، (ط01). 2000م، ص:829.

[2] القريوتي محمد، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، (ط05). عمان- الأردن، 2009م، ص:258.

ويقول الصمادي: « **الصراع شكل من أشكال التفاعل الشخصي الديناميكي المكثف بين طرفين أو أكثر تربطهما علاقة اعتماد متبادل وهو ينتج عن بروز قدر من اختلاف وعدم التوافق في الرؤئ والمصالح والأهداف والتوجهات** »[1].

يشير الصمادي إلى أن الصراع قائم على إختلاف وعدم توافق في الرؤئ والأهداف والتوجهات نتيجة لذلك .

ولعلَّ أبرز صراع أبرز صراع منذ الأزل هو صراع الشرق والغرب « **فصراع الشرق والغرب هو أكبر حقيقة سياسية تختم على العالم المعاصر الذي تعيه وتتفاعل معه /.../ بحيث تحول إلى جزء من الحياة اليومية والتفكير اليومي الإعتيادي لكل البشر** »[2].

ولقد كان صراع الغرب والعرب أكبر دليل على الصراع بين البشر فهو جزء من الحياة اليومية والتفكير العادي للناس، ونطرح هذا السؤال لمذا كان الصراع قائما بين الطرفين –العرب والغرب– ؟

نجيب عن ذلك السؤال بأنَّ الصراع كان قائماً بين القطبين من أجل التباين الديني فالعرب يدينون للإسلام، أمّا الغرب فيدينون لغير الإسلام ولعلّ المسيحية واليهودية الأكثر تصادماً مع المسلمين، فالصراع بين الإسلام والمسيحية كان محتدم ودائم وضارب في التاريخ منذ الفتوحات الإسلامية في القرن السابع ميلادي إلى القرن الحادي عشر ميلادي باسم الحروب الصليبية ثم القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي تليها الفتوحات العثمانية والإستعمار الأوروبي الحديث للعالم الإسلامي.

يقول "**هنجتون**" فيما يخص هذا الصراع الثنائي:« **الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضوع شك، فعل ذلك موتين على الأقل** »[3]، بين ذلك الأخير تهديد الدين الإسلامي لنظيره المسيحي، فقد أحرج الإسلام الديانة المسيحية مرتين ويرمي بذلك إلى

---

[1] نسيم الصمادي، خلاصات كتب المدير رجل الأعمال، (دط)، القاهرة– مصر، 2002م، ص:01

[2] عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، علم المعرفة، (دط)، الكويت، 1989م، ص:39.

[3] صامويل هنجتون، صدام الحضارات(إعادة صنع النظام العالمي)، تر: طلعت الشايب، تق: صلاح قنصوة، القاهرة– مصر. 1999م، ص:430.

الفتوحات الإسلامية ثم الفتوحات العثمانية، ويحاول تحليل ذلك الصراع ويقول:« **إنَّ أسباب هذا النمط من الصراع /.../ تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليها الصراع من ناحية نتيجة الإختلاف خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متحاوز يربط بين الدين والسياسة /.../ كما أن الصراع تابع من أوجه الشابة بينهما كلاهما دين توحيد** » [1].

إنَّ الإسلام والمسيحية كلاهما دين تبشيري، وكلاهما يدعي أنه العقيدة السليمة، لذلك وقع بين الطرفين حاجز الأولوية، كلٌ منهما يرى أنه على صواب والآخر على خطأ، فالدين هو العائق حسب "**هنجتون**" في حين يرى "**محمد خليفة حسن**" أنَّ الأسباب وراء الصراع تعود إلى الجانب السياسي، يقول: «**إنَّ الصراع بين (دين الإسلام والمسيحية)، الذي نشأ في التاريخ والذي يضرب به "هنجتون" المثل فهو في الحقيقة ليس صراعاً دينياً ولا يقوم على أسس دينية إنما الصراع نشأ لأسباب سياسية، حيث ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ثم انتشر في بلاد كانت تابعة للمسيحيين مما أدى إلى تطور الصراع بين المسلمين والمسيحيين** » [2].

ولقد لعبت الفتوحات الإسلامية دوراً بارزاً في تصعيد الصراع حيث اعتبرها العرب فتوحات توسيعية استعمارية مما أثار سخط أهل الكتاب، وبالرغم من كل الحدود التي وضعها هؤلاء إلا أنَّ الإسلام لم يرضخ للمبادئ التي وضعها في قائمة التعاملات مع الآخر.

نخلص مما أشرنا إليه إلى أنَّ الإسلام يعترف بوجود الأديان الأخرى، ولقد أعطى لها مكانة مرموقة في تعامله معها انطلاقا من مبدأ تصحيح الإعتقاد ورفض الشرك والكفر

---

[1] المرجع السابق، ص:340-341.

[2] محمد خليفة حسن، المسلمون والحوار الحضاريمع الآخر، مركز الدراسات الشرقية، (دط)، القاهرة- مصر، 2003م، ص:21-22.

والقضاء عليهما اعتماداً على الحجة والبرهان كونه الحق والأشمل والذي يحتضن كل الديانات.

3- الأدب والأيديولوجيا:

الأدب هو التعبير عن المجتمع وهو البحث عن الإنسان داخل الأديب كما هو شكل من أشكال التعبير البشري عن العواطف والأفكار وكل مايختلج الأفئدة والعقول عن طريق أساليب كتابية فهو بناء دلالي عميق.

« **فالأدب هو الإنسان بكل ما للكلمة من معنى، لأنه يصدر عنه ويعود إليه ويتحدث عن همومه ومشاغليه في انطلاق حر** »[1].

لقد كان الإنسان نقطة المركز بالنسبة للأدب فهو ناتج منه ويرجع إليه ليتداوله يشير آخرون في اختصار هو مادة إنسانية خالصة.

لقد تحاوز الأديب حقبة الأدب بنية مغلقة وتعداها للاحدود والآفاق اللامعدودة، فهو ينفتح على آفاق أيديولوحية تتعلق بحياة الكاتب، فكرة وظروف عصره سواء السياسية أو الإجتماعية.

إننا نقصد بالأيديولوجيا نسق من المعتقدات لعصر من العصور ،وتتشكل تلك الأخيرة داخل العمل الأدبي وإختلافه في مواضيع معينة « **فالقول بإستقلال الأدب عن وضع اللغة وعن المجتمع ،وعن الأيديولوحيا عمل غير منطقي** »[2]، وعليه فإنَّ الأيديولوجيا صحيح أنها نسق من الأفكار والمعتقدات التي تعكس العلاقات الإجتماعية التي تعبر لنا عن أفكار سحملها الأديب آرائه حول مجتمعه.

---

[1] أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، (دط)، 2005م، ص:05.

[2] محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، (ط01). 2009م، ص:167.

إنَّ الإدب إبداع وبما أنه إبداع فهو يحتمل التجدد في كل لحظة فيمكن أنَّ يصيبه نقصان ما أو يكون فائق الحبك ومهما كان جيداً فلن يكون كاملاً، ومنه فإنَّ دائرة الأدب أوسع من إنَّ تضيقها الأيديولوجيا.

يعد "**تيري ايجلتون**" أحد أبرز المفكرين الذين اعتنوا بالعلاقة التي تجمع الأدب بالايديولوجيا « **وقد حدد ايجلتون معنى الايديولوجيا وعلاقتها بالادب من خلال التصورات الخاصة بتاريخ الفكر الماركسي، وذلك في الماركسية والنقد الأدبي، ويشير في هذا السياق إلى "انجلز" الذي يرى أنَّ الفن أكثر غنى واقل شفافية بسبب كونه أقل التصاقاً بالايديولوجيا فينقل لنا "انجلتون" عن كتاب "انجلز" لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية أنَّ الأيديولوجيا هي الطريقة التي يحي بها البشر أدوارهم في المجتمع الطبقي، والقيم والأفكار التي تربطهم بوضائفهم الاجتماعية** »[1].

الفن من وجهة نظر الماركسيين جزء من البنى الفوقية للمجتمع فالأيديولوجيات نتائج لصلات اجتماعية لا تقدر هجر المجتمع في تجسده فهي دروب يسلكها الناس كل يتعايش معها بطريقته فتعبر عنه وتصبح هي الأخرى تمثله فينعت بها.

نأخذ أيضا رأي "**بيير ماشيري**" في الإيديولوجيا وعلاقتها بالأدب فيقول: « **أنَّ النص يظهر رغماً عنه ورغم نوايا الكاتب التناقضات الأيديولوجية التي لا يمكن حلها في الواقع الاجتماعي فهو لا يمثل الأيديولوجية ولكنه يعرض لها مع إظهار تناقضاتها وفجواتها من هنا كانت فكرة أنَّ النص الأدبي ليس تعبيراً عن الأيديولوجيا صياغتها في كلمات بقدر ماهو اخراج لها وعرض لها في عملية تنقلب فيها الإيديولوجيا بشكل ما ضد نفسها** »[2].

[1] تيري إنيجلتون، النقد والأديولوجية، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، عمان- الأردن، (دط)، (دت). ص:10

[2] بيير زيما، النقد الاجتماعي، 58-59.

أشار "**ماشيري**" إلى أنَّ النص يفجر مايحويه من تناقضات إديولوجية فهو لا يعبر عن الإيديولوحيا مباشرة، بل يبرز نقائصها، وثغراتها ومنه فالنص أو الأثر الأدبي لا يفصح بوضوح وبصورة بارزة جلية عن الإيديولوحيا.

يقول "**ايجلتون**": بأنَّ هدف الناقد هو الكشف عن خبايا النص وعن إيديولوحيته التي سار على خطاها الاديب « **أمّا بالنسبة لماشيري فالعمل مفيد إلى الأيديولوجيا لا بما يقوله في الاساس بل بما لايقوله، يمكن أنْ نحس بحضور إيديولوحيا في لحضات ضمن النص دالة وفي فجواته وغياباته وينبغي على الناقد أنْ يجعل لحظات الصمت هذه تتكلم** »[1].

يريد "**ايجلتون**" من الناقد أنْ يستنطق سطور الأثر الأدبي ويدفع بساكنه للتحرك، فإيديولوجيا يمكن أنْ تحظر حتى وهي صامتة لذلك لابد أنْ يكون حريصاً على تفجير تلك المكونات التي تختبؤ بين أفكار الكلمات والجمل.

إذن يمكن الخلوص إلى أن الأدب لا يمكنه الانفصال عن الأيديولوجيا مهما تباينت أنواعه فهو أداة بارعة في ترجمة واقع الكاتب وعلاقته بمحيطه إذ أنَّ « **الكتابة على نحو جيدهي أكثر من مجرد قضية أسلوب إنها تعني أيضاً أنَّ يكون تحت تصرف المرء منظور أيديولوجي يستطيع التغلغل في وقائع تجربة الناس** » [2].

يكتب الاديب وفق حيز أيديولوجي فعند تضافر كليهما تتضح لنا صورة التي تحمل في زواياها أبْعاداً متباينة يمكن أنْ تكون سياسية، اجتماعية /.../، وذلك من خلال أساليب فنية مختلفة تبين المحتوى الأيديولوجي ومنها: الشعر، القصة، المسرحية وخاصة الرواية.

إذنْ ما علاقة الرواية بالأيديولوجيا ؟

تعد الرواية من أكثر الأنماط الأدبية تعبيداً واستحضاراً للواقع، فهي تتخذ من الأنساق الفكرية والأيديولوجية متكأ في تكريس العمل الأدبي، وبذلك تتشكل الرواية من بعدين: فكري

---

[1] تيري إنجلتون، النقد الأيديولوجية،10-11.

[2] تيري إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي (الأدب والتاريخ)، تر: عبد البني أصطيف، مجلة الآداب الأجنبية، العدد:48. السنة:13، 1986م، ص:100.

وفني و منه يمكن القول: « **شأن الأيديولوجيا التي تهيمن على السرد الروائي شأن اللغة التي تنتج صوتاً واحداً فهي تخترق هذا السرد وتنتهك منطقه الديمقراطي بوصفه يقدم رؤية للعالم تتميز بأمانتها وصدقها مع حقيقة الواقع، لا مع رغبة ذات المبدع في صياغة الواقع المناسب لنزعته الأيديولوجية** »[1].

بما أنَّ العمل الروائي يحاول تقديم رؤية للعالم ببصمات الواقع فإنه من المنطقي أنْ تمتسحه الأيديولوجيا فهي تهيمن على النصوص إذ تعد مكوناً أساسياً في بناء النص.

لا يمكن للرواية أنْ تخلو من قيم أيديولوحية رغم أنها أرقى الأنواع الإبداعية فهي تمثل رؤية الكاتب للعالم وكما يقول :"**وين بوث**" « **فإن الأيديولوجيات التي تخترق الخطاب الروائي تنظر إلى نفسها على أنها قادرة على أنْ تصير مالاً يمكن أنْ يصير ،ولهذا فهي تصنع لنفسها داخل المعمار الروائي قمة أولمبية**» [2].

تتخذ الأيديولوجية حصة الأسد من الأثر الأدبي فهي لها امكانية وقدرة على احتياز كل أجزاء الخطابات الروائية، إذنْ « **المتكلم في الرواية هو دائماً، وبدرجات مختلفة منتج أيديولوجيا وكلماته هي دائماً عينة أديولوحية (Idèologène)، واللغة الخاصة بالرواية ما تقدم زحهة نظر خاصة عن العالم** »[3]. ومنه فإنَّ اللغة حاملة للأيديولوجيا في شكل لغات اجتماعية تعكس الأنماط الفكرية للأفراد والمجتمعات، والأدب هو صاحب الإنعكاس الحاصل بين لغة الرواية ورؤى العالم.

---

[1] جهاد عطا نعيسة، في مشكلات السرد الروائي، قراءة خلافية، منشورات إتحاد الكتاب العربي، (دط)، دمشق- سورية. 2001م، ص:321.

[2] المرجع نفسه، ص:64.

[3] حميد لحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، ص:26-27.

نخلص مما سبق إلى مايلي:

-الإيديولوجيا كلمة غير عربية، جرى حولها مناقشات واسعة وتعريفات متعددة.

-الايديولوحيا هي علم الافكار أو نظام من الأفكار والمفاهيم الاجتماعية ومجموعة التصورات التي تعبر عن مواقف محددة تجاه علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بالعالم الطبيعي.

-الصراع حالة من اللا تفاهم وعدم الإرتياح أو الضغط النفسي الناتج عن التعارض أو عدم التوافق بين رغبات أو حاجات أو أفكار ...

-الأدب بناء دلالي يخمل عوامل حياة الفرد ومجتمعه والأيديولوجيا ضرورة حتمية في الأدب إذْ أنها لبنته الأساسية، فالأيديولوجيا نسق من المعتقدات لعصر ما تتشكل داخل أعمال أدبية وروايات أكثرها عمقاً بإعتبارها أهم الآثار العميقة والهادفة في أيامنا.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تمظهرات الصراع في رواية الموت عمل شاق

1-الصراع السياسي والاجتماعي والديني في الرواية.

2-الموت والحب زمن الحرب.

3-رمزية الأب في الرواية.

تولّد عن زحام القضايا العربية المعاصرة وضغوطاتها أسباب مختلفة، تدفع بأصحاب الحبر إلى التعبير عن تباين درجات التوتر الإنفعالي لهذه الأحدث من توالي حملات استعمارية على المنطقة العربية، النكبات، التاريخ الطويل من الصراعات السياسية، والمذهبية، والأثينية، ومؤخراً ذلك الوباء الذي عصف ولا يزال يعصف ببلداننا العربية.

لقد تطورت الأحداث وتداعت الأزمات في الوطن العربي منذ اندلاع ثورات تكفي بالربيع العربي، وكان الكل يبحث عن أسباب اشتعال كل فتيل على حدة، بدءاً من **(العراق، تونس، مصر ليبيا، اليمن، وسوريا... وغيرها)**، وتستمر هذه الخلافات والجميع يشاهد كيف يشتعل العالم العربي هذه الفجوات ليُعرقل اتحاد وتقدم دول الوطن العربي من خلال مسميات كثيرة أبرزها "**داعش**" "الإرهاب " ...، فهل سوف يتم الوضع على ما هو عليه ؟ أم ستزيد حِدَّةُ هذه العراقيل ؟ هذا ما سوف يوضحه المستقبل.

سوريا، هي احدى تلك الدول التي أُضرمت فيها نار الثورة، فبدأت من احتجاجات سلمية في مناطق مهمشة سنة (2011م)، مطالبة بالحرية والكرامة والإنعتاق، ووضع حد للقمع والفساد والتسلط، لكنها سرعان ما غطّت كل سوريا (درعا، دمشق، حمص، بانياس ...) فقابلتها أيدي قوات الأمن السوري بوحشية، فسقط من مصادرها الأول "درعا" أربعة قتلى ومنها تحولت المظاهرات إلى كابوس يتحقق منه الشعب السوري لغاية الساعة.

تكلفة الصراع باهضة جداً يدفعها الشعب السوري يومياً فيسقط المئات من الشهداء من الطرفين سواء المعارضة أو النظام، ناهيك عن التدمير المروع البنية التحتية للبلاد و الأمر من ذلك كله تمزق النسيج الإجتماعي السوري.

يجسد الروائي "**خالد خليفة**" الوجع السوري من خلال رحلة دفن جثمان أب لثلاثة أولاد في مسقط رأسه يحبِكُ أحداث عمل روائي بعنوان "**الموت عمل شاق**" فيبرز بيروقراطية النظام السوري تجاه الموت وكأنه مؤسسة مختصة بتحويل الإحياء الى جثث، فحتى الموتى يبقون أحياء ما لم توافق المخابرات على دفنهم فيصبحوا موتى بالمعنى الحقيقي للموت .

سأحاول النبش والحفر في خبايا وزوايا هذه **الرواية** "**الموت عمل شاق**" التي حاول صاحبها تاريخها بحقبة سوداء في التاريخ السوري فينقل القراء إلى عين المكان ومشاهدة المعنى الأخر الذي يدركه إلا من ضاق طعم الحرب، وتصبح الحياة عبارة عن مجموعة أفعال تافهة ينهيها الموت في لحظة ما.

عندما أتلفظ بكلمة **سوريا** لا بد لي ولكل فرد يحمل بعروقه دماء عربية أنْ ترسم في مخيلته مباشرة **صورة سوريا المأساة، سوريا القمع، سوريا الحصار، سوريا الخراب، سوريا الدمار، سوريا الوطن** المأزوم والمسحوق بين فكي الحرب.

1- الصراع السياسي و الاجتماعي و الديني في الرواية:

الصراع هو تلك الحالة التي يكون سببها تعارض الحقيقي المصالح والقيم والاحتياجات ولعلَّ من أبرز موضوعات الصراع الثروة السلطة السورية، الأوضاع السياسية والاجتماعية، القيم التي تتعلق أنظمة حكومات الأيديولوجية والدين.

نمت **الرواية** في فلك الواقع السوري منذ بدأت الثورة والتي سماها آخرون "**بالانقلاب**" وفريق ثالث "**الحركة التصحيحية**" و رابع "**الحرب الأهلية**"، وتلك الأخيرة –**الثورة**– وليدة صراعات مختلفة أدى قصورها إلى دخول البلاد في نفق بلا منفذ للخروج.

لقد كانت أنواع الصراعات متباينة في سطور الرواية وسنبين من خلال الجدول أغلبها:

أ- الصراع السياسي:

الصراع السياسي	الصفحة
قضى أبوه أيَّام حبه الأخيرة من نيفين قبل خروجه من بلدته (س) بمساعدة مقتلي المعارضة.	**07**
الحصار المفروض على البلدة منذ أكثر من ثلاث سنوات.	**07**
وغادروا بلمح البصر عبر طريق فرعي محروس جيِّداً.	**07**
ضبّاط يسيرون في الممرات، يتحدّثون بغضب ويشتمون مسلحي المعارضة	**10**

بكلمات قاسية.	
طريق ساحة العبَّاسيين سيكون الأفضل رغم سمعة الحواجز السيئة في هذه المنطقة	11
تذكر حين كان النظام يبالغ تشييع قتلاه، على التلفزيون فرقة المراسيم الرسمية تعزف لحن الشهيد وتوضع على كل تابوت وباقة ورد كبيرة تحمل اسم القائد العام للجيش والقوات المسلحة الذي هو الرئيس في الوقت نفسه، وباقة ورد أخرى تحمل اسم وزير الدفاع، وباقة ورد ثالثة تحمل اسم رفاق السلاح في الفرقة أو الإدارة.	13
سأل حسين سائق سيّارة أجرة، إنَّ الطريق مغلقاً؛ فأجابه بأنَّ القناصة يمنعون المرور، وأضاف منذ ثلاث ساعات قنصوا أربعة مسافرين.	18
اعتاد صوت تحليق الطائرات والمدفعية وراجمات الصواريخ التي لم تهدأ منذ ثلاث سنوات،القصف على القابون وجوبر لم يتوقف	19
«سيعتقلون الجثة »... لقد اعتقلوا الجثة، الأب كان مطلوباً لأكثر من فرع مخابرات منذ أكثر من سنتين	25
أضاف أنه ورفقائه في طريقهم لركوب البحر من تركيا إلى اليونان والهجرة إلى السويد	25
يفكر بأنه لا يمكن لأحد الدخول إلى مكان مثل هذا ومعرفة مصيره، في السنوات الأربع الماضية اختلف الكثيرون.	26
قال: إنه سيُحولهم إلى الفرع ويعتقل الجثة حسب الأصول، كان كلام الضابط بارداً، رجاه بلبل السماح لهم بمتابعة السفر أضاف أنَّه مؤيد للنظام ولا علاقة له بأبي، ويعيش في منطقة (م) المختلطة منذ أكثر من عشرون سنة.	27
إقتاده العنصر إلى الغرفة الأخرى، وقال إنَّها ليست الحالة الأولى الشهر الماضي اعتقلوا جثته.	28

كان العنصر يُرَدِّد بين جملة وأخرى أنَّ البشر بالنسبة إلى الدولة مجموعة وثائق وأوراق وليسوا كياناً مادياً أو روحياً.	
عرض على العنصر الذي شرح له الإجراءات رشوة، سماها بكل تهذيب رسوم عبور بضاعة، نظر إليه العنصر ساخراً من حقره واتفقا على عشرين ألف ليرة سورية في حال موافقة رئيس الفرع على إخلاء سبيل الجثة المعتقلة.	28-29
تضيف أنها أُعتقلت ثلاث مرات خلال الثورة – قالت كلمة الثورة بصوت مسموع دون خوف – لكنَّها المرة الأولى التي تعتقل كرهينة. كلما فتح باب الزنزانة يرمي عنصر سجيناً جديداً.	29
بعد دقائق قالت إنَّ إخوتها انضموا إلى الجيش الحر، وهم الآن يقاتلون مع الكتائب الإسلامية المتطرفة في الميادين بعد انتهاء ذخائر كتائب الجيش الحر وانقطاع التمويل عنها، أضافت أنَّ كثيرين تحوَّلوا إلى الكتائب الإسلامية التي تملك الكثير من الأموال، والعنصر وعده خيراً مقابل رفع المبلغ إلى ثلاثين ألفاً.	30
مشكلتهم ستكون مع حواجز الإرهابيين حين يقتربون من حلب	31
أقلها قبول النظام للقتال ضمن مليشيات النظام، أو هجوم العارضة على السجن وهدم أسواره وحرق ملفاته.	35
قد لا يحتمل الأب وجوده في حارة موالية للنظام، اختفى الآلاف دون أيِّ أثر، فقط لانتمائهم إلى أمكنة معارضة كما اختفى الكثير من الموالين في مناطق المعاضة، الخطف والفدية والاعتقلات العشوائية مزدهرة	37
دخل ثلاثة شباب مسلحين من أبناء الحارة، يرافقهم المختار الذي تعاطى معه ببرود ونكران، لم يسمحوا له بالاستفسار قلبو أغرض المنزل، لم يغفر له تعليقه صورة كبيرة للرئيس في صدر الصالون، ألغي من التلفزيون تردُّد القنوات «المعارضة» كما يسميها أنصار النظام، كقانتي الجزيرة والعربية،	38

ألغيت قنوات المعارضة، وضع على «القائمة المفضلة»كل القنوات المؤيدة وعلى رأسها قناة المنار والميادين التين بيعتا لحزب الله، وقناة العالم الإيرانية والإخبارية السورية...	
طلب أباه منه عدم التحدث مع السائق، ربما يكون مخبراً، فهو يعرف أباه جيداً، سيمتدح أهل بلدته، وقد يشتِمُ النظام علانية.	40
فكّروا بأنَّ أطباء الحارة قد يخبورون النظام، ويعتبرونه إرهابياً إذا ما عرفوا شدَّته بالعيش في بلدته المحاصرة كلّ هذه السنوات.	40
فيسمع حديثها أو صوت الأغاريد الثورية التي يترنمان، بها معاً وهما يتبادلان أخبار الجبهات كل يوم، ويُعلقان على الأحداث السياسية هما مثقفان على أنها ثورة ضدَّ العالم كله لا ضدَّ النظام فقط.	41
هم لديهم على أقل تقدير، كلَّ المؤهلات اللازمة ليشتمهم أيْ حاجز من لمخابرات النظام أو للمجموعات الطائفية الموالية للنظام حتى لو لم يكن مكثفاً بصفة رسمية.	46
صوت غريب بعد ليلة قصف مجنونة، لكن الصمت لن يطول من مناطق اشتباكات ساخنة ومتواصلة منذ أكثر من سنتين ونصف قوات المعارضة استولت على طرق رئيسية، أضعفت قوات النظام وهددت إمدادات النفط والقمح.	64
أراد القول له إنَّ المجتمع الدولي ورسيا وأمريكا والعرب موافقون على بقاء النظام، والقضاء على هذه الثورة التي وُلدت يتيمة.	67-66
ميكروفونات قوية مثبتتة فوق منزل يجتمع فيه عناصر حزب الله الذين لم يعودوا يخفون وجوههم، مع عناصر الدفاع الوطني الميلشيات الشيعية التي سلحها النظام ونظمها مع متطوعين عراقيين شيعة وسوريين مناصرين له.	67
ساروا حفاة إلى المدرسة وزَّعوا مناشير حزب البعث وسُجنوا تعرضوا لسياط	88

الجلادين وصمدوا، كان العلم كفاحاً والسياسة تضحية.	
لديه أمل كبير بالعيش حتى لحظة سقوط النظام، وتنفسه الحريَّة التي انتظرها طويلاً.	91
مرة أخرى تعالى صوت الرصاص، سمعا أصوات الشباب بالراكضين يشتمون النظام وعناصر المخابرات.	92
لم يتوقف البجيش ودوريات المخابرات عن مداهمة البيوت واعتقال العشرات من الشباب.	93
يكتب الطلاب المخبرون تقارير يتهمونهم فيها بالمروق والتحريض على الالحاد وشتم الحزب والقومية العربية، التفكير جريمة حقيقية تستوجب المساءلة. إنَّ المجتمع وصل إلى آخر مراحل الخنوع ولا حلَّ إلاَّ بثورة تقتلع التخلف والديكتاتورية.	102
لم لكن سوريا، قال حسين إنه شيشاني	111

ب/ الصراع الاجتماعي:

الصراع الإجتماعي	الصفحة
كان منهمكاً وجائعاً، فقد أكثر من نصف وزنه، منذ أشهر لم يأكل وجبة طعام كاملة، ككل المحاصرين في البلدة. الكثير منحيث الجنود تصل في أوقات الفجر من أطراف دمشق حيث المعارك لا تتوقف.	07
الدوريات لا تتوقف، الشوارع تعجُّ بمسلحين مجهولي الهوية الكهرباء مقطوعة في أغلب الإحياء، كتل الكونكريت المرفوعة أمام الفروع الأمنية تجعل أغلب الطرقات لا يستطيع أحد، إنَّ لم يكن من سكان المنطقة معرفة	08

الممرات المسموح بالسير فيها والممرات الممنوعة. ضحك السائق وأخيره، أنَّ ثلاثة من إخوته وأولادهم ماتوا الشهر الماضي في القصف.	
مئات الجثث تُضَيَّع في هذه الفوضى وتنسى.	09
دفع ثلاثة آلاف ليرة لمسؤول المشرحة مقابل سماحه لممرِّض بمساعدته في تغسيله، وتكفينه في حمام الموتى القذر.	10-9
أخبرها حسين أنَّ إخراج الجثَّة كلَّفهم عشرة آلاف ليرة.	11
مدَّ جندي رأسه من نافذتها، يضيق عليه بقوة وشتمه، ونظر حسين إلى البصقة التي بللت ذراعيه وكظم غيضه، تهنى البكاء في هذه اللَّحظة.	11
وأضاف أنَّالفقر لا يجدون حتى سيَّارة إسعاف تنقلهم إلى المقبرة.	13
كثيراً ما اظطر الأهل بعد إبلاغهم بصوت أبنائهم للذَّهاب إلى مكان المعركة والبحث عن جثثهم. التي دُفنت في قبرها أو ضاعت وسط ركام الأبنية المدمَّرة، وحديد هياكل الدَّبابات والمدافع المحترقة.	14-13
منذ ثلاث سنوات لم يعمل أحد جثة كل هذه المسافات ويذهب إلى دفنها في العنابيَّة.	17
أصوات قصف الطيران قريبة منهم، باستطاعتهم رؤية الطائرة وهي تطلق صواريخها من ارتفاع منخفض.	18
يفكِّر بأنَّه لا يمكن لأحد الدخول إلى مكان مثل هذا ومعرفة مصيره في السنوات الأربع الماضية اختفى الكثيرون.	26
في قوارة نفسه كان موقفاً بعدم احتماله قلع الأظافر وكلابات الكهرباء وضيق التنفس في الزنازين المكتظة والعبور فوق الجثث المتفسخة الأبد سيموت	27

بعد أوَّل قولة تعذيب.	
سأل المرأة العجوز إنَّ كانوا حقاً يغتصبون النساء في الفروع فضحكت المرأة وأضافت بصوت منخفض والرجال أيضاً مُضيفة أنَّ أحداً لن ينسى كل هذا الظلم ولو بعد ألف سنة.	29
وقال إذا اعتقلوا الجثة فسيتركونها لهم يتصرَّفون فيها بطريقتهم يحرقونها أو يبيعون أعضائها أو يرمونها في قبر جماعي.	30
كان قريباً من لحظة تحاشاها طول السنوات الأربع الماضية.	31
إذْ سرعان ما اقترح بعد دقائق رمي الجثة على حافة الطريق متسائلاً عن ثقتهم بنجاحهم في عبور الحواجز الأخرى.	32
– حين كان بليل يرى الشاحنات تعبر بسهولة، تمنى لو تحولت جثة أبيه إلى أكياس كمّون. – ندم للوعد الذي أطلق لأبيه بتنفيذ وصيَّته، كان يكفيه عبور تلك اللَّحظة بعاطفة أقل.	33
حتى جارته أم إلياس ماتت ذبحاً رغم بلوغها الثمانين.	34
أصبح الموت عملاً شاقاً كما هي الحياة بكافة تفاصيلها بالنسبة إلى بلبل.	35
كما فعل سائق سيَّارة أجرة قبل مدَّة حين سخر منه وأخبره بالتفصيل عن منزله في زملكا الذي قُصف وماتت زوجته تحت الدمار والركام.	36
– حزم في قوارة نفسه بمراقبة النظام لكلِّ المكالمات الصادرة من تلك البلدة. – قد لا يحتمل الأب وجوده في حارة موالية للنظام. – اختفى الآلاف دون أيِّ أثر، فقط لانتمائهم إلى أمكنة معارضة، كما اختفى الكثير من الموالين في مناطق المعارضة.	37

تجاهل شتائمهم لأهل البلدة التي عاش فيها أغلب سنوات عمره.	38-39
- لحظات الحصار القاتلة التي اضطر فيها من بقي من سكان إلى طبخ أوراق الشجر، والتهام الحشائش، صنعوا من الشعير والذرة خبزهم، وتقاسموا أقل القليل الباقي. - كالدكتاتور نزار، لم يُخف انتماءه إلى الثورة ورفض هجر البلد رغم اعتقاله وتعذيبه لمدَّة ثلاثة أشهر. - كثيرون تحوَّلوا داخل السجن من ثوار سلميين إلى مناصرين لأقسى أشكال العنف ضدَّ النظام وجنوده.	42
أصوات الصواريخ وقذائف الدَّبابات تقترب منهم، يقول ببرود إنهم يقصفون حمص.	43
لم ينظروا إلى الجثة خافوا من انكشاف أنّها تشوهت إلى درجة موافقتهم على دفنها في أيِّ حفرة، أو رميها لكلاب البراري الجائعة.	46
يجب تسخين الماء في البرميل على الحطب، لا غاز والكهرباء تأتي ساعتين أو ثلاثاً في اليوم.	49
- حسين واقف قرب رأسه ليخبره برمي الممرضين جثة أبيها إلى الشارع. - كان المنتظر مروعاً، أكثر من أربعين جثَّة في ملابس عسكرية مموهة، جثث فقذ نصفها السفلي وأخرى فقدت الرأس.	50
ويكدِّسون الجثث بعضها فوق بعض كصناديق التيمون.	50-51
وعلى ظهرها حزمت أمتعة بشر يهجرون البلد نحو جهة أكثر أمناً هروب جماعي لمئات الآلاف من سكان الشمال والشرق نحو جهات مجهولة.	53
المحاصرون تقاسموا كلَّ ما يُؤكل ويُلبس وما يملكون لتستمر حياتهم.	59
روى له أكثر من عشر قصص عمَّا يفعلونه بالنَّاس، خاصة العائلات المتعاطفة مع الثورة، أحرقوا منزل عائلة حين اكتشفوا اعتقال ابنهم على	67

حاجر، وهو يهرِّب أدوية لأحياء حمص المحاصرة، اختطفوا فتاة من الحي المجاور، ماتت بعد اغتصابها لمدة أربعة أيام متواصلة، وأجبروا أهلها على الإقرار رسمياً، بأنها ماتت في حادث سير مقابل تسليم جثتها /.../ لم تحتمل العائلة البقاء في الحيِّ، هاجرت إلى الأرجنتين.	
لم يعد أحد يُصدِّق النظام، الورطة أكبر من احتمالها، تبادل الجميع الخوف بشكل واضح، من كان واثقاً بالنصر قبل سنة بدأ يشعر بالأعياء، يفكِّر في حياته المهددة ولا أحد يستطيع حمايته.	68
أولاءك الشباب الذين لم يكتفوا بتأييد النظام، بل حملوا السِّلاح وأهانوا أصدقاء طفولتهم، وحوَّلوا حياة الجميع إلى جحيم.	69
الجميع يرى حشود قوَّات النظام على مدخل البلدة،دبّابات وبطَّاريات مدفعيَّة تتمركز، حواجز رمليَّة قنَّاصون ينتشرون على أبنية عالية تشرق من بعيد على البلدة.	71
– احتفظ جيبه بزجاجة سمٍّ قاتل، صغيرة لكنَّها تكفي لموت سريعٍ كان يخطِّط لابتلاعها في حال اعتقاله، لن يسمح بجلاده بالاستمتاع بتعذيبه. – بضعة آلاف من البشر علقوا هنا، لم يستطيعوا المغادرة بعد إطباق الحصار، ببيوت قليلة لم تدمر/.../نفذت المؤنُ والحيوانات نفقت خطوط الماء والكهرباء دمِّرت تدميراً كاملاً.	74
الجوع الذي سمعوا عنه في الحكايات اختبروا الأنانية وحبَّ البقاء تنازع البشر بشراسة على القليل من الأعشاب والفطور البرية.	75
ذبحوا الكلاب واخترعوا وصفات لطبخها، طاردوا القصص في كلِّ ركن كثيرون ماتوا جوعاً.	75
كلَّ معركة يكبِّدون فيها النظام يجبرونه خسائر لا يمكن تخيُّلها.	77
الطرق التي تصل البلدة مع البلدة القريبة عبر المحاصرة بقيت سريَّة، قليلة	78

وضيِّقة، لا نستطيع إدخال سوى كميَّات قليلة من الأدوية والطَّحين.	
في الطريق بقايا المعارك واضحة للعيان، دبَّابات محطمة، سيَّارات محترقة، بقع دم متيبِّسة، البيوت القريبة من الطريق مدمَّرة مهجورة، وفي البعيد تبدو بيوت أخرى محترقة وشوارع قرى صغيرة يتحرَّك فيها عدد قليل من البشر أو الحيوانات، شبه مهجورة لا توحي حركيَّتها الصَّباحية سوى بالموت والنزوح.	81
صوت الرصاص الغزير قريب جداً وراء تلك التلَّة القريبة التي لا تبعد مئات الأمتار.	82
تغلق مشاعرك بالحزن على الضحايا، رأيت ما بقي من أشلائهم المتناثرة متفحِّمة حين عبرتهم.	90
رائحة الموت تفوح من البيوت والأزقَّة، الكهرباء مقطوعة.	94
فكَّر لو استطاعت الكلاب الوصول إلى جثة لمزقتها، بدأ يشعر برعب حقيقي من صورة أبيه، لقد أصبح جيفة تثير شهية الكلاب، إنها أكثر درجات انحطاط الجسد.	115
أكلة لحوم بشر تجول بين البشر والطرقات بكل هدوء، وأصبح البقاء في آخر الليل مع كلب شيئاً مرعباً، قد يودي بحياة الشخص.	117
فهموا من المرأة العجوز أنَّ القرية قد قُصِفت أكثر من عشر مرَّات كالطائرات والصواريخ، وأهلها هجروها إلى مكان آخر.	121
كانت حثة هيثم بدون أصابع، بقي الوجه وباقي الأعضاء تقريباً مات نتيجة رصاصة في الرأس أطلقت من الخلف قبل تقطيعه.	124
القتل دون تمييز بين طفل أو امرأة عجوز.	127
لقد تحولت الجثة إلى جيفة، لم تعد تصلح حتى للوداع، تكفيها صلاة شريعة ويضع حفنات تراب.	138

حين وصل إلى السيارة فوجئ بأنَّ فاطمة أصيبت بالخرس.	142

جـ- الصراع الديني:

الصراع الديني	الصفحة
عرض على العنصر الذي شرح له الإجراء رشوة سمَّاها تهذيب رسوم عبور بضاعة.	28
اضطرات الشرطة إلى تعقُّب الموضوع كي لا يُسجَّلَ تحت بند جريمة طائفية تثير ذعر سكَّان الحارة المسيحيِّين.	34
ستقول أحبُّك ولكنِّي لا أستطيع الزواج برجل مسلم /.../ لم تكن مسيحية متشدِّدة لكنَّها في النهاية لا تريد إغضاب عائلتها الريفية الطيِّبة، التي لن تستطيع دفع أثمان زواجها.	47
لا يشبهون جيرانه الذين طردوا ثلاث عائلات نازحة من مخيَّم اليرموك بحجَّة أنَّهم إرهابيون متشدِّدون لمجرَّد ارتداء النساء الحجاب.	48
أمرتها بترك غرفتها في دير الراهبات.	50
الممرض مازال غاضباُ شتم أباه ويصف بالإرهابي، يهدِّد زهيراً لمياء ويشتم عائلتها.	51
كان الأب وليم آخر المسيحيِّين الخارجين قبل إطباق الحصار كاملاً على البلدة، أوصاه بالعناية بما يبقى منها، طمأنه أنَّ المطرانية نقلت كلَّ المخطوطات والأيقونات إلى مكان مجهول في لبنان.	75
جثمان الأب الممدَّد الآن على كرسي الميكروباص المربوط بحبال كي لا يتزحزح من مكانه، لا يدلُّ على قوَّة يقين ماضي هذا الرجل الذي بقي مؤمناً بما لا يقبل أيُّ شك بتحرير فلسطين كاملة والصلاة مع رفاقه في المسجد الأقصى.	88-89

العناصر الواقفون على الحواجز أيديهم على الزناد، وألبستهم وعصابات رؤوسهم تشي بانتماء طائفي، أعلام حزب الله تختلط مع أعلام أخرى خضراء لفصائل شيعية عراقية كانت على الأرض تعمل مع مجموعات كثيرة أسَّسها النظام للقتال.	98
لكنَّك تغلِّف وهمك بكلام كبير عن تحرير فلسطين التي أضاعها جيلُك	101
ودَّعهم وطلب منهم الاحتراس من كتائب المتشدِّدين أوصى فاطمة بتغطية شعرها جيِّداً.	104
عبرتهم مجموعة سيَّارات مسرعة تتخبَّط في الطريق، كانت وجوه المسلَّحين داخلها قاسية وواضحة، ذقون طويلة، غريبة بسُمْرتها الداكنة، بينهم واحد أشقر، شعره مجدل ونظراته بلهاء.	111
– اقترب منهم رجل يرتدي ملابس سوداء ويضعُ قناعاً على وجهه، طلب هويَّاتهم بلغة عربيَّة غير سليمة. – ثلاثة مسلَّحين توجَّهوا نحوهم، ركبوا معهم وأمروا حسين بالتوجه نحو مبنى الأمير الواقع على تخوم القرية الصغيرة. – وقفوا على بابها ينتظرون السماح لهم بمقابلة الأمير، الحرَّاس المقنَّعونلا يتحدَّثون مع أحد كأنَّهم ألواحٌ خشبيَّة. – هنا مملكة الأقنعة، لا وجوه، لا تفاصيل ولا ملامح.	112
–فاطمة تركع على قدميها لتحيَّة الأمير، تقلِّد الممثلات في المسلسلات التاريخية. –ففوجئ حسين بسؤال الأمير إنِكان يعرفُ أحكام دفن الميِّت في الشريعة الإسلامية. –ففوجئوا بالأمير يخطب فيهم بصوت هادئ لكنَّه غاضب: أرض الإسلام كلُّها مقبرة للمسلمين والوصايا بدعة وضلال.	113

أغلب سكانها نازحون وجنود وفقراء موظفون وفلاَّحون مهاجرون من قراهم البعيدة، أغلبهم مسيحيُّون كما كانت قبل ثلاثين سنة، حافظت على كنائسها ومقبرتها المسيحية.	134
قطعوا القرى وأذهلهم منظر الأعلام السوداء على المباني البعيدة والقريبة، وهياكل دبَّابات، سيَّارات عسكريَّة محترقة، بقيا معارك تدل آثارها على شراستها.	138
– مسلَّحون بعيدون وقريبون يوجَّهون بنادق قناصة، وجوههم مقنَّعة وملابسهم سوداء، العصابات على رؤوسهم تشير إلى انتمائهم إلى مجموعة متشدِّدة احتلَت الكثير من طرق ريف حلب الشمالي والشرقي. – فتح رجل مقنَّع يحمل رشاشاً ثقيلاً على كتفه باب الميكروباص ابتعد قليلاً الرَّائحة أفزعته /.../ تقدِّم نحوهم ثلاثة مسلَّحين تدلُّ لهجاتهم على أنَّهم غير سوريِّين، أحدهم تونسي يحاول التَّحدُثّ بلغة عربية فصحى. – أمامهم مقاتلون مقنَّعون، لا شيء يدل على شخصيَّاتهم أوْ جنسيَّاتهم لكن كلُّ ما فيهم يدلُّعلى هويَّتهم، ملابسهم السوداء وأقنعتهم ولحاهم الطَّويلة /.../ المبنى الذي كان في ما مضى دائرة حكوميَّة تحوَّل إلى مقرِّ إمارة التنظيم. – قال إنهم سيخضعهم لاستجواب عن أمور دينهم، أضاف مجرَّد أسئلة يجب الإجابة عنها ليسمح لهم بالمرور. – دخل بلبل أوَّل الأمر إلى قاعة المحكمة، طلب المقاتل من حسين الانتظار، سأله القاضي بدون مقدِّمات أسئلة بسيطة عن عدد ركعات الصلاة في كل وقت، صُدِم بلبل بالسؤال /.../ سأله رأيه في التنظيم المتشدِّد. – سيبقى عندهم لاكمال دورة شرعيَّة في أمور دينه.	140
أخبرهم حسين باعتقال بلبل عند حاجز التنظيم الإسلامي المتطرِّف.	143
لا أمل في الخروج من هذه الزنزانة التي تضمُّ أكثر من 20 سجيناً ارتكبوا موبيقات، أحدهم شرب خمراً /.../ الباقون لا يمارسون الشعائر /.../ آخرون	145

اتُّهموا بالعمالة للنظام وجميعهم ينتظرون النظام، وجميعهم ينتظمون صباحاً في دروس دين يلقيها عليهم شيخٌ يشتمهم ويصفهم بالضالّين.	
وقَّع على أوراق تعهُّد فيها بتعليمه أصول الواجبات الدِّينية.	**148**

لقد حاولنا فيما سبق الإلمام بأغلب أشكال الصراع التي أتى ذكرها الكاتب في روايته التي قسمتها إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: لو انك أكياس تموت {من ص:05 إلى ص:51}.

الفصل الثاني: باقة ورد تطفو على صفحة نهر{من ص:53 إلى ص:128}

الفصل الثالث: دليل الذي يطير في مكان ضيق{من ص:129 إلى ص:151}

إنَّ الرواية التي بين أيدينا، رواية واقعية، تلخِّص ألام شعب شتَّته الحرب، ومزقت ألياف لحمه فصار السوريُّون في كل طرقات العالم بعدما كانوا شعباً يحتل مراتب متقدمة في مجالات شتَّى، فضاعت أحلام شبابه –**الشعب**– وترمَّلت نساؤه، وأصبحت براءته يتيمة، ولا ننسى شيوخه وعجائزه أولئك الذين شهدوا على أبشع مرحلة مرات بها بلادهم، في وقت كانوا من المروض أنْ يموتوا وآخر صورة لهم لمة أولدهم وأهاليهم حولهم ليناموا بسلام، لكنهم للأسف رقدوا على فاجعة لم تنته لغاية اللحظة.

رصدنا "**خالد خليفة**" تلك الأزمة، فجسدها في أبطال عاشُوا الحصار والمطاردة والاعتقال والتعذيب، المظاهرات، الجوع، البرد وحتى أبسط أنواع الحياة الكريمة، ورغم كل هذا الخراب والتعسُّف بقى الأبطال حاملين بغدٍ مشرق، متطلعين إلى تجاوز هذا الواقع المدان إلى مستقبل أفضل عنوانه الحرية والعدالة، « **كان يتحدث عن الشهداء والثورة، يثق بالنصر ولا يريد سماع أي انتقاد** »[1].

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، دار نوفل، هاشيت، أنطوان العربية، (ط01)، بيروت– لبنان، 2016م، ص:66.

وتجاوزت أفق أحلام الفرد السوري إلى حرية أوسع رقعة، لتشمل الأرض الطيبة "**فلسطين**" «**هذا الرجل الذي مؤمناً بما لا يقبل أي شك بتحرير فلسطين كاملة والصلاة مع رفاقه في المسجد الأقصى** » [1].

قبل آن يكون هناك صراعاً حول البلاد والأرض، هناك صراع بين ذوي البيت والأهل الذين أبرزهم "**عبد اللطيف السالم**" **(أب)** والأبناء الثلاثة **حسين بلبل وفاطمة، نيفين** الزوجة الثانية **لعبد اللطيف، ليلى** أخت **عبد اللطيف.**

لقد كان نبأ موت الأب ووصيته سبباً في عودة لمِّ شمل تلك العائلة المشتتة لينطلق الثلاث كسهم من الحياة يدخل غماراً للعدم محاولين تنفيذ مطالب الوالد الأخير لتبدأ رحلة جثمان الأب مع جواز والتي يعقهم فيها وهويتهم لكل عناصر البطش الممتدة على طول الطريق، أولها حواجز النظام ومليشيات طائفية أغلب عناصرها عاطلون عن العمل أو أصحاب سوابق، ترك لهم العنان للإهانة والاعتقال وقتل أي شخص، فهم يثيرون الرعب حتى في نفوس المؤيدين وانصار النظام، وآخرها حواجز التنظيمات المتطرفة التي صارت علماً في الرعب والخوف، **وعبد اللطيف** الجثة،كان اختيار لمستقبل علاقة أفراد عائلة هشَّة تهاوت أمام قسوة الزمن المعيش، وتفتَتَ الأبناء، كلٌ وراء أحلامه وطوحاته التي لم تحقّق أياً منها، **فبلبل** خريح الفلسفة غَداً موظفاً في إحدى المؤسَّسات الحكومية لا همَّ له إلاَّ أنْ يتركه الجميع بسلام في حضرة الموت اليومي في هذه المدينة التي بقي فيها وحيداً بعد انفصاله عن زوجته التي كانت تعيش معه حياةً روتينية فقط، بعدما عجز عن التقاط باقة الورد التي تطفوا على النهر بسبب اختلاف دينه ، أمَّا الأخت **فاطمة** فتزوجت خادم الأثرياء تيمُّناً منها أنه سيصبح ذات يوم ما منهم، لكن علاقتهما التي تكللت بالزواج لم تدم إلاَّ سنة، فعلى الرغم من اعتراضات أبيها لكنها تزوجت وانفصلت في ظرف قصير، ليتخلص منها بتخييرها بين الطلاق أو انتظاره حتى يعود من اليونان الغير مضمونة، فوقع الطريفين عقد المخالعة، لتتزوج بعدها رجلاً بسيطاً وتنجب أطفالاً زرعت فيهم أحلامها التي لم تقدر على تحققيها،

[1] المصدر السابق، ص:89.

أماً بالنسبة للأخ الأكبر وهو حسين فقد كان الابن المدلل لدى والديه، الطفل الحاصل على القديرات المدرسية ليكبر ذلك الطفل ويصبح شاباً قويَ| البنية، فتكون الثَّانوية آخر محطاته الدراسية بعدما أصبح بادي غارد لدى امرأة ليل، مما أثار غضب الوالد فيحصل بينهما شجارٌ أدى إلى رحيل حسين عن المنزل والعائلة فكان بذلك المسؤول الأوَّل عن الشرخ الفظيع الذي الذي حلَّ بأفراد العائلة المستقرَّة.

يلتف أيضاً الصراع بالأب **عبد اللطيف** الذي خسر معشوقته التي تزوجت من صديقه الحميم فحالت الظروف دون الإرتباط بها قبل أم أولاده، ليجمعهما القدر من جديد بعد وفاة زوجها وإستشهاد. أبناءها في الحرب، فباتا زوجين ثائرين بامتياز يقضيان آخر أيامهما معاً.

ومن الصراع المتعدد الزوايا داخل عائلة **عبد اللطيف** المواطن السوري المعارض الثائر الذي رفض مغادرة الوطن لحين قدوم الساعة، إلى الصراع الواسع الذي تعيشه سوريا واحدة من الدول العربية التي اشتعلت بها نار الثورة من آذار من عام 2011م.

ومن درعا القابعة في الجنوب البعيد من سوريا، المدينة ذات الأغلبية السُّنية والأقليَّات المسيحيَّة والدرزيَّة، المدينة المحافظة سوسيولوجياً، المعدومة اقتصادياً وتنموياً، والمحرومة خدماتياً والمطوقة بكلِّ ما تعنيه الكلمة، أمنياً وعسكرياً، بحكم موقعها الجغرافي القريب من خط النَّر مع إسرائيل، وحين نحاول أنْ نقرن بداية الثورة بحادث في ذاته، سنعود لقصَّة الأولاد الثلاثة عشر، الذين تأثَّروا بما سمعوه من التلفاز من شعارات أطلقها ثوَّار مصر وتونس، وراحوا على سبيل اللَّعب الطفولي البريء يردِّدون أثناء فترة الاستراحة في باحة المدرسة عبارة « **الشعب يريد تغيير النظام** »، وراحوا لاحقاً يكتبون تلك العبارة على حائط المدرسة، فتحوَّل ما بدأ كلعبة أطفال بريئة إلى عود ثقاب أشعل ثورة بدأت ولم تنته إلى يومنا، مُسجَّلين في كتب التَّاريخ أوَّل ثورة في التَّاريخ البشري يبدأها أطفال.

يصل نبأما اقترفه الأطفال من ذنب لا يُغتفر وإلى رئيس الأمن السياسي، والذي كان ابن خالة رئيس النظام والمدعو "**عاطف نجيب**" فيرسل عناصره لاعتقال الأطفال الثلاثة عشر وزجهم في سجنه فرعه.

وحين ذهب أهاليهم لاحقاً للحديث مع الضابط المذكور التماس عطفه ورأفته بأطفال صغار غير مسؤولين كما لا يمثل لهم سوى لعبة بريئة، ما كان من الأخير إلاَّ أنَّ قال لهم أنْ يعتبروا أنفسهم لم ينجبوا ولينجبوا غيرهم، ليستلم الأهالي أولادهم وقد تعرَّضوا للتعذيب الشديد والقتل والتشويه، كان هذا الفعل الإجرامي كافٍ لخروج **مدينة درعا** كلها تنادي بحرية الشعب، وحين تلقَّف النظام جدية مايحدث، واشتم فيه بوادر حركات مشابه لما هو جار ثورات الجوار، خرجت مستشارة الرئيس على التلفاز وأطلقت سلسلة وعودٍ إصلاحية ووعدت بمعاقبة المسؤولين عن الحادث الأليم، وبحزمة قرارات رئاسية ستغيِّر سوريا للأبد، إلاَّ أنَّ الأسابيع اللاحقة لهذا الخطاب بيَّنت أنَّ كلام المستشارة كان مجرد حبر على ورق وأنَّ الوعود لم تكن سوى مسكِّنات بعيدة عن التطبيق الفعلي، وأنَّ النظام ماضٍ في سياسته القمعية والأمنية بكل أنواع القوة المتاحة، ليعلن الرَّئيس "**بشار الأسد**" في خطابيْه أثناء الثورة إلى تقسيم البلد إلى منحييْن: مع النظام وهم الوطنيُّون المخلصون لسوريا وضدَّ النظام، وهم المتظاهرون والمطالبون بالحريَّة.

وقد رفض "**الأسد**" يبدأ أيَّ تعاطف مع أسر الضحايا التي قتلتهم آلته العسكرية أو حتى الاعتراف بوجود معارضة تستحق التحاور معها في سوريا.

إنَّ الثورة التي قادها "**الشعب السوري**" ماهي إلا نتيجة لتراكم الضعائف منذ مئات السنين فالمجتمع السوري عبارة عن مزيج من الطوائف• والأقاليم• والعشائر• التي لعبت دورا بارزا في تاريخ سوريا السياسي والإجتماعي والإقتصادي في القرن العشرين،

• **الطائفية**: التطرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء | إلى مجموعة دينية معينة.

• **الإقليمية**: التصرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء إلى أصل إقليمي معيَّن.

• **العشائرية**: التصرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء إلى عشيرة أو عائلة معينة، ويمكن أنْ يُطلق على الأخيرة العائلة.

ويتكون ذلك الخليط من « (82.5 %) يتحدَّثون اللغة العربية، (67.7 %) مسلمون سنيُّون، ونجد أنَّ المسلمين السنيين الذين يتحدثون العربية يشكَلون أغلبية عدديَّة قوامها (57.4 %)، من مجموع السكَّان من حيثُ اللغة والدِّين، أمّا المجموعات المتبقية فيمكن أنْ تُصنَّف كأقلِّيات عرقية أو أقلِّيات دينية، وأكبر هذه الأقلِّيات الدِّينية في سوريا هم العلويُّون (11.5 %) والدروز (3.0 %) الإسماعيليون (1.5 %) والمسيحيون الروم والأرثوذوكس(4.7 %)، الأكراد (8.5 %)، والأرمن (4.0 %)، والتركمان (3.0 %) » [1].

لقد كان الحكم في سوريا بيد العلويين، (حافظ الأسد ثم إبنه بشار الأسد) التابعين لحزب البعث• العربي الإشتراكي الذي حكم سوريا منذ 1963م، وهيمن عليها لا بقوة الإيديولوجيا، وإنما بقوَّة قبضة حديدية –**أمنيَّة**– مناضلاً في إدخال المجتمع في دينه –**هو**– بدلاً من أنْ يناضل لكي يُحرِّر المجتمع من التدين المؤسَّساتي، ويُقيم مجتمع المواطنة، حيث لا فصل لأحد وآخر بدينه أو بحزبيَّته بل بعمله وكفاءته. فقد كان ذلك الأخير حزب البعث –**حزباً ذا بنية دينية والانتماء إليه امتيازٌ فكريٌ**– إنساني على الصَّعيد النظري، وامتيازٌ سياسي، وظيفي وتجاريٌ على الصعيد العملي.

نستنتج مما سبق، أنَّ الصراع موجود منطقياً في منطقة الهلال الخصيب خاصة سوريا التي وصل فيها إلى السلطة أقلِّية من الأقلِّيات التي كانت مضطهدة ثم عزَّزت مكانتها لتصبح بيدها مفتاح البلاد الذي يتمثل في حزبها الأوَّل **–حزب البعث–** وعلى الرغم من وجود معارضين له إلاَّ أنهم حوصرُوا وضيَّق عليهم الخناق، واعتقلوا وسجنوا /.../ ولكن إلى متى ؟ !

لقد كانت الثورة التي انطلقت بأيدي البراءة أكبر دليل على انفجار المكبوتات التي لطالما أُخْرست أصواتها.

---

[1] Gabriel Baer, Poplation and Society in the arab Ezst, London, 1964, p:109.

• **حزب البعث**: تأسس بدمشق عام 1940م، على يد ميشيل عفلق(مسيحي من الروم الأرثوذكس)، وصلاح الدين البيطار (مسلم سني)

فيمكننا القول **-بذلك-** أنَّ سوريا انتقلت من ثورة الحرية إلى صراع مفتوح على مصراعيه معارضة ونظام: **الأوَّل** يريد إسقاط النظام ولا يؤمن بجدوى الحوار معه، و**الثاني** يريد أن يتمكن من إعادة الناس إلى بيوتها بالقتل والعنف، إيماناً منه انه إنْ نجح سيتمكَّن من إقناع القوى الخارجية بأنَّه مزال يمسك بزمام الأمور وأنه قادر على قيادة المرحلة التغيرية وصُنعها بدل أنْ يكون أوَّل ضحاياها.

دفع السوريون -ولا يزال- تكلفة طلبهم الحرية منذ اندلاع الثورة وإلى غاية الساعة أرقاماً مهولة من الموتى المعذبين، المعتقلين، المشرَّدين، المذبوحين، المهاجرين/.../ « **الجثث غير مهمَّة في الحرب من الممكن اكتفاء الأحبَّة بقميص ممزق، أو رجل مقطوعة وملفوفة بكفن ضمن تابوت لا يمكن فتحه، عائلات كثيرة دفنت أحبتها دون أن يشاهدوا المنظر الفظيع للجثث مقطعة الأوصال** » [1].

أصبح الموت في ضل الحرب، فعلاً طبيعياً لا يثير استنفار المشاعر والعواطف كما في العادة، فمحظوظ من استطاع تغسيل وتكفين ودفن من توفي له، فلقد ضاعت مهابة الموت وشأنها الذي ترجف له القلوب، فحسين وبالرغم من تواجد جثمان والده عبد اللَطيف في خلفية الميكروباص إلاَّ أنَّه فقد أعصابه « **لقد بدأ يفقد أعصابه، أصبح شخصاً آخر رفع صوت المسجِّلة قليلاً، وبدأ يُصفِّق مع إيقاع الأغنية** » [2].

الموت إذنْ غدا طقساً بألوان مخالفة للعادة، فالحرب صبغته بمعاناة وآلام لا ينتهيان ولن يُنسى أبداً ماخلَّفه إعصار الدمار « **فضحكت المرأة وأضافت والرجال أيضاً، مضيفة أنَّ أحداً لن ينسى كلَّ هذا الظلم ولو بعد ألف سنة** »[3].

سلبت الحرب أبسط مظاهر الحياة من الشَّعب، فالجوع الذي كان يُروى عنه في القصص والروايات، أصبح خيالاً لصيقًا بالفرد السوري، خاصة أولائك الواقعين تحت وطأة

---

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:82.

[2] المصدر نفسه، ص:96.

[3] المصدر نفسه، ص:29.

الحصار، أيْ من هم معارضين للنظام الحاكم، « **يقضي ساعات طويلة في البحث بين الأنقاض، يمضي في البراري القريبة، باحثاً عن أيِّ شيء يمكن أكله، أرنب، كلب، قطَّة، كل شيء أصبح مباحاً، ذبحوا الكلاب واخترعوا وصفات لطبخها، طاردوا القطط في كل ركن، كثيرون ماتوا جوعاً** »[1].

الحرب إذنْ تريد أنْ تمتحن قدرة الكائن على الإحتمال، كذلك أفْسَحَتْ المجال لتدخُّل عدة جهات في شأن سوريا الأرض، فحزب الله أعطى لنفسه الحق في التجوُّل باسم السياسة التي تُضمر مصالحاً أخرى « **كما يستطيع الرقص على أنغام الأغاني الأغاني الطائفية التي ثبَّتتها مكروفونات قويَّة مثبَّتة فوق منزل يجتمع فيه عناصر حزب الله الذين لم يعودوا ويخفون وجوههم مع عناصر الدفاع الوطني** » [2].

سوريا الملاذ الآمن لمعسكرات تدريب حزب الله وتخزين أسلحته، وإنطلاقاً من هذه العلاقة فإن "**حزب الله اللبناني**" لاعب أساسي في تشكيلة الصراع الحاصل في سوريا، فذلك الأخير يُكمِّل نظام بشار الأسد بصفة مباشرة من خلال القوَّة البشرية المقاتلة على الساحة أو عن طريق جُهوده التي تنظِّم وتدرِّب القوات الشبه عسكرية الموالية للنظام بطريقة غير مباشرة.

ومن هذا الحزب إلى الجارة **إيران** التي هي أيضاً حليفة قوية للنظام الحاكم « **ألغى قنوات المعارضة، وضع على القائمة المفضلة، كل القنوات المؤيدة وعلى رأسها قناة المنار والميادين التابعتين لحزب الله وقناة العالم الإيرانية ...**» [3]، فإيران مصرة على مدِّ يد العون للأسد الابن لأنَّ الأسد الأب كان داعماً لها في الحرب العراقية الإيرانية فتلك الأخير تعتبر سوريا القلب النابض لعلاقتها مع حزب الله لذلك ومنطقياً كانت منحازة انحيازاً

[1] المصدر السابق، ص:75.

[2] المصدر نفسه، ص:67.

[3] المصدر نفسه، ص:38.

كاملاُ للنظام السوري. لذلك وأولاً وقبل كل شيء لابد لها أنْ تحافظ على مصالحها بالدرجة الأولى، أي نجاح النظام وعدم سقوط حكمه واستمراره.

ومن لبنان وإيران، نأتي بالحديث عن الجارة العراق صاحبة أكبر حدود لها مع خط النَّار السوري « **الميليشيات التي سلحها النظام ونظمها مع متطوعين عراقيين شيعة وسوريين مناصرين له** »[1]، موقف العراق من الأزمة السورية يأخذ طابع زئبقي، فهي وأقل تأييداً للنظام وأقل عداءاً للمعارضة وطبيعة المزيج الطائفي في العراق نتج عنه هذا تضارب مواقف من مؤيد إلى معارض. فلقد أعلنت بأحقية التغيير في سوريا وأكدت على اعتراضها الحل العسكري والشهير بالمعارضة المسلَّحة وفي الوقت عينه حذَّرت من سلبيات تغيير النظام وعلى رأسه (الأسد)، فذلك يدفع بلدان المنطقة للدخول في حروب أهلية مدمِّرة، وضبابية الموقف العراقي راجع لتفاقم مشاكله مع الدُّول الداعمة للمعارضة السورية ومنها: قطر، السعودية، تركيا، فحاولت الإيحاء بمواقف وسطيَّة ونادت بضرورة الحل السياسي للوضع.

ومن العراق إلى تركيا، البلد المجاور الوحيد الداعم للمعارضة والساند للثورة السورية، ومن بين أوَّل الدول التي دعمت النظام إلى وضع حدٍّ للعنف الدائر في سوريا فوقفت مع الشعب السوري بفتحها الحدود لأكثر من مليون لاجئ ناهيك عن تقديمها المساعدات لباقي الشعب داخل الحدود السورية، كما أنها استضافت المعارضة ودعت إلى إنشاء مناطق آمنة داخل الأراضي السورية لكنها لم تجد أيَّ ردود فعل تجاه ذلك وكانت رغبة الأسد صاحبة القرار في مواصلة تهشيم سواء البنية الفوقية أو التحتية للبلاد فتركيا كانت أوليَّاتها وحدة الأراضي السورية، الاستقرار الأمني في المنطقة مع محافظتها على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع سوريا الجوار.

كان وضع سوريا يهدِّد أمن المنطقة في الشرق الأوسط ككُل وليست سوريا فحسب، وضعها المعقَّد الذي ميَّزها عن باقي ثورات الربيع العربي جعلها جو ملائم لنمو طفيليَّات

[1] المصدر السابق، ص:89.

سامَّة كان ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية•.أبرزها، فاستغلَّ ذلك الأخير تشرذُم المجتمع وكل أطيافه لصالحه، فكان مبتغاه حشد أكبر عدد ممكن من البشر لبناء ما يسمى بالإمارة الإسلامية، وقد أتتْ الرواية في ذكر تلك الجماعات في سطورها، « **قطعوا القرى وأذهلهم منظر الأعلام السوداء المرفوعة على المباني البعيدة والقريبة، هياكل دبَّابات، سيَّارات عسكرية محترقة، بقايا معارك تدل آثارها على شراستها**» [1].

يوضِّح الراوي مما سبق اقتباسه على توغُّل هؤلاء المتطرفين المنطقة، ويقول كذلك: « **وجوههم مقنعة وملابسهم سوداء، العصابات على رؤوسهم تشير إلى انتمائهم إلى مجموعة متشدِّدة احتلت الكثير من طرق الريف لحلب الشمالي والشرقي** » [2]، فقد كانت ملامح السود تُدلُّ عليهم وترمز إليهم لذلك تلك الأعلام السوداء، بالإضافة إلى تنوع أجناس تلك الجماعات « **تقدم نحوهم ثلاثة مُسلحين تدل لهجاتهم على أنهم غير سوريين أحدهم تونسي يحاول التحدث بلغة عربية فصحى** »[3].

فسوريا ليست الوحيدة التي وفرت مناخ تشكل تلك الأطراف، فثورات الربيع العربي كلها كانت تشجعهم على التوسُّع والهيمنة، خاصَّة تونس التي راح منها عدد هائل من شبابها ضحية للكابوس "**داعش**" محتجين على كل من يعارضهم بالدَّين.

وذلك الأخير –**داعش**– كان بمثابة طُعم الصيَّاد الخارجي وسط المياه السورية، وعند الحديث عن اليد الخارجية فلا بد مباشرة أنْ نتحدث عن الدب الروسي، والذي جعل من الملف الروسي ورقة رابحة في مواجهة الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، فروسيا "**بوتين**" ليست هي روسيا "**غورباتشوف**".

• **تنظيم الدولة الإسلامية:** أو ما يسمى "**بداعش**" تنظيم مُسلَّحٌ، يتَّبع فكر الجماعات الجهادية، ويتواجد أغلبيَّته في سوريا والعراق، أمَّا زعيمهم فهو البغدادي، اشتهر بتشجيعه على العنف باسم الدَّين وكلِّ من يخالفه في معتقداته يعدُّ كافراً ومرتداً.

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:138.

[2] المصدر نفسه، ص:140.

[3] المصدر نفسه، ص:140.

كانت محاربة التنظيم المتشدِّد في المنطقة ذريعة روسيا للتدخل في الشأن السوري، وكان تواجدها على الساحة من أجل منع إنهيار النظام الحاكم –**الأسدي**– أولاً ثم احكام القبضة على الوضع الجاري في سوريا الذي يخدمها لتوسيع نفوذها في جغرافيا الشرق الأوسط ويعني ذلك سحب بساط الانفرد الأمريكي بقضايا المنطقة من تحت هيمنتها وبما أنَّ روسيا تملك حق الفيتو• وبمساندة الصين منعت صدور أيَّة قرارات تُفضي بعقوبات موجَّهة لنظام الأسد داخل مجلس الأمن، وهذا ما زاد الطين بلَّة.

وكأنَّ التاريخ سيعيد نفسهُ، لكن بأسماء وسياسات أخرى، فالقطب الروسي يستدعي تلقائياً القطب الأمريكي، أمريكا التي ندَّدت بالخراب الذي ألحقه النظام الحاكم بشعبه في بداية الثورة مما جعلها تقف وجهاً لوجه مع الطرف الروسي، فحاولت تلك الأخيرة –الو.م.أ– تهدئة الوضع من خلال تقارير ولقاءات تجمعها بعدة أطراف للتحاور بشأن الوضع السوري و/.../، وما يُعرف على الأمر كان حفاظها على مصلحتها، والدليل على ذلك الكثير من عملائها الطواغيت العرب الذين خدموها على مدار عقود. تخلت عنهم في لحظات، وما خفي كان أعظم.

يواصل النظام سحق المعارضة بواسطة آليته الأمنية، فحسب تصوره يمكنه بذلك العودة إلى مكانته السابقة، موظفاً كل ما أتيح له من تحالفات دولية تعينه في قمع المعارضة ونزع الشرعية عنها وعن أي شرعية يا رجل ؟ وعن أي حق ! وعن أي حكم يجعلك تشتت بني أمتك ؟ !.

• **حق الفيتو**: حق النقض أو كما ورد في ميثاق الولايات المتحدة الأمريكية بلفظ حق الاعتراض، وهو في واقع الأمر حق إحهاض للقرارا، إذ يكفي اعتراض أيٍّ من الدول العضوية الخمس ليُرفض القرار ولا يُمرَّر نهائياً، حتى ولو كان مقبولاً لباقي الدول الدَّئمة العضوية فيه هي: روسيا، الصين، المملكة المتحدة، فرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

ما الفرق بينك وبين نيرون• أو هوشي منه• ؟ ! فشعبُك بشرَّدُ وأنت تنظر، يعذَّب بعلمك، ويُغتصب أنت دارٍ، يلجؤ لغير ترابه وأنت السَّبب، يموت وأنت السبب أيضاً /.../ سَيُخَلِّدك التَّاريخ فأنت طاغي العصر، كيف تُنْسى، وأنت من هجَّرْت بلاد الياسمين !

ثورة سوريا أكثر الثورات تأزماً وتعقيدا، مادام النظام صامداً و غير آلبه بمصلحة شعبه، لتخرج أصوات وهتافات أنين الشعب خارج الحدود فتصل جغرافيا العالم بأكمله ولكن من يرد، فالكلُّ يرى ولا ينطق و كأنَّ بهم خرسٌ كالذي أصاب **فاطمة** ! وكأنها ثورة ضد العالم بآسره و ليس النظام فقط من هو معنٍ « **هما متفقان على أنها ثورة ضد العالم كلِّه لا ضد النظام فقط** »[1].

كل يبُدي رأيه ويحلل الوضع كما تستوجِبُ مصلحته ذلك، فمن يقف وراء النظام ليس حباً لشخص حاكمه بل لأنَّ بقاء رأس الحية يلبي مطالبهم وعند انتهاء قائمة المستحقات تنتهي صلاحيته كغيره ممن سبقوه، أمَّا من هم وراء الشَّعب فإمَّا لرفض مأسآته والدفاع عن الحق، وإمَّا لأنَّ النظام يُفْشِل مخططاتهم، فمصلحتهم بالقضاء عليه، وحتى الساعة تتضارب الآراء والمواقف من كل النواحي سواء تلك الدول المعارضة أو الأخرى المأيدة لما هو حاصل في أرض الشام . فكما سبق التوضيح فتركيا تساند الشعب و ثورته الكريمة عكس إيران وروسيا وغيرها /.../

في حين تبقى دول أخرى في حياد، فكل طرف وايديولوجيته الخاصة التي تتحكم به في اصدار قرارات تجاه الطرف الآخر، فعلاقة المجتمعات بالأديولوجيا علاقة مبنية على معايير « **إنَّ علاقة المجتمع بالأديولوجيا هي علاقة مبنية على مشاعر وأحاسيس**

• **نيرون:** ابن عم أشهر طاغية في التاريخ الإنساني (كالي غولا)؛ حاكم روامني، سفَّاح عظيم، قتل أمَّه، عشيقته وأحرق شوارع روما وهو ينظر من فوق برجه لمنظر احتراق شعبه متلذذاً بذلك.

• **هوشي منه:** زعيم فيتنامي شيوعي، سجن وأعدم أكثر من ربع مليون من شعبه.

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:41.

ومقاييس أخلاقية » [1]. فلا يمكن اسقاط طابع العلميَّة المادي عليها ليبقى الجانب الروحي طاغ عليها.

العنف إذنْ مشروط ولا بدَّ منه في مثل حالات سوريا التي تئِنُّ منذ أعوام، وما نحن واقفين أمامه يمكننا أنْ نطلق عليه اسم تضخم السُّلطة، فالنظام كالذي يجلس على كرسيه **بشار الأسد** ما إنْ كُسِرَتْ فيه قاعدة الأمر والطاعة، انقلب فيه الوضع إلى مجازر لم تنتهي لغاية الساعة، « **عندما يذوي النقاش العام ويموت الإنخراط فيه يصبح مصير المجتمعات عرضة للتلاعب، وعندما تطمسُ الحقائق وتمسخ الوقائع من أجل الدِّفاع عن مصالح أنانية وتحقيق غايات وضعيَّة عندها لا يبقى ما يمنعُ من تفجر العنف** »[2].

فإلى متى سيستمر هذا الصراع المصبوغ بطلاء العنف والجبروت ؟ وأيُّ منظومة ستستوعب التنويع السوسيولوجي في سوريا ما بعد الأسد « **أيُّ تلك التصورات يمكن أنْ ينطبق على طبيعة التركيبة السوسيولوجية والدينية واللأثينية والطائفية والسياسية في سوريا ؟** »[3]، طرح القسْ مربط الفرس وجوهر الحديث من خلال تطرُّفه للسبب رقم واحد في قائمة الثورة المعقدة في مقابل باقي الثورات، ألا وهو التنوع القديم، ولابدَّ للإشارة لضبط ذلك القديم خاصة فيما يخص أهل الكتاب من يهود ومسيحيين، الذين أُعترف بهم من قبل الإمبراطورية العثمانية، « **وفي عهد الإمبراطورية العثمانية كان المجتمع السوري مجزءاً بشكل كبير إلى عدد من الجاليات المغلقة** »[4]، تعدد الأجناس، يعني تعدد التوجُّهات وهذا ما يوقع الخلل خاصة إذا كثرت الصراعات التعصبية –**للدين بالدرجة الأولى**–

---

[1] إدريس هاني، خرائط أيديولوجية ممزقة الأيديولوجيا وصراع الأيديولوجيا العربية والإسلامية المعاصرة، مؤسسة الانتشار العربي. (ط01)، بيروت– لبنان، 2006م، ص:65.

[2] علي الربيعي، في نقد العنف، الجديد، (ع31)، 31 أغسطس/ آب، لندن– بريطانيا، ص:09.

[3] القس متري الراهب، الربيع العربي ومسيحيو الشرق الأوسط، ديار للنشر، (دط)، بيت لحم– فلسطين، 2012م. ص:121.

[4] نيكولاس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا (الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة 1961م–1995م)، مكتبة مدبولي، (ط01)، القاهرة– مصر، 1994م، ص:19.

وهذا ما يفسح المجال للتباين السياسي، والانفصلات اللامتناهية داخلياً، مما ينتج عن كل تلك الخلافات والإنتفضات الشعبية التي يضمرها الشعب، لكنه ما إنْ تفيض الكأس تقوم الثورة.

فئة معيَّنة تستحوذ على البلاد منطقيٌ جداً أنْ تستنكر فئة أو فئات أخرى ذلك، فسوريا العتيقة لم يعد الحكم فيها سنيٌ بل أصبح علوياً « **وبعد استيلاء البعث على السلطة في 1963م استمر هذا الصراع "التقليدي" بين النخب السياسية المتنافسة ذات الخلفيات الاجتماعية الاقتصادية المتقاربة** » [1]، كان الوضع أكثر تشعباً بعد وصول أقلية تسكن جبال اللاذقية المعزولة إلى أعلى المناصب في البلاد –**الإخوة الأسد الابن"بشار**" حالياً– بعدلا حروب داخلية طاحنة مع كل الفئات، والدروز، السُّنيين...

يحمل العلويين• في حاضرنا ومنذ سنين راية الحكم والسلطة في سوريا، وهم فئة نجحت في صعود سلم الدولة في حين خسرت فئات أخرى الرهان، ولقد كانت علماً نيتهم السبب الوجيه بعد الاختلاف في الدَّين، في زيادة الحدَّة بينهم وبين باقي الطوائف خاصة السُّنيين، فهم يرون أنَّ –**الإسلام**– جزء من التراث يمكن أنْ يفاد من بعضه ويترك البعض الآخر ناهيك عن العبارات التي قيلت من قبل البعثيين فأحد شعائرهم يقول: « **آمنتُ بالبعث رباً لا شريك له وبالعربية ديناً ماله ثاني**»[2].

وهذا القول أثار رُدُود فعل شعبية غاضبة، والشعارات والأقوال لا تعدُّ ولا تحصى، فاختلاف التركيبة البشرية، كان ولا يزال القضية المحور في سوريا، والصراع متواصلٌ، فمن

---

[1] المرجع السابق، ص:124.

• **العلويين**: طائفة من الشيعة الإثني عشرية، تتميَّز عن البقيَّة بإيمانهم بالعوة الباطنية، وهي سريَّة تعليم وممارسة العبادة، يسطن أغلبهم تركيا وسوريا، والعلوية معتقد غير تبشيرية ولهم ثالوث ينقسم إلى الاسم (علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، الحجاب (محمد ﷺ)، الباب (سليمان الفارسي).

[2] نبيل شبيب، الخلفية الدينية والطائفية للوضع السياسي في سوريا، الدوحة– قطر، تاريخ الاطلاع 2004/10/03م. التوقيت19:47 حسب توقيت مكة المكرَّمة، الموافق لـ 19/ 08/ 1425هـ: www.algazeera.net .

السوريين منْ يدين للعلويَّة، وهناك الشيعة والأكراد والدروز ...، فطبيعة تلك الأجناس متولِّدٌ ما تناولناه في الجزئية من بحثنا.

الصراع في الدّين، يعني الصِّراع في الرؤى السِّياسية والتي بدورها تشتَّت النسيج الاجتماعي في بلاد الشام، وهيمنة الحزب البعثي الطَّويلة المدى حادت عن ما كان واضحاً من مطالب شعبيَّة، مما جعل الشعب والمفروض أنه صاحب القرار يثور ليُطالب بالتعديل وبما أنَّ الجهات المعنيَّة –السلطة الحاكمة– رفضت ذلك، فطالب الشعب بخلع النظام بأكمله كونه يضطهد ويُدمِّر عوض أنْ يشَيِّد ويبني وهذا ما أورده الشاعر المعروف **أدونيس** في سطور رسالته التي بعث بها إلى الرَّئيس السوري "**بشَّار الأسد**" إذْ يقول فيها: « **السيد الرئيس لا يمكن أحداً يعرف التجارب السياسية الكبرى إلاَّ أنَّ يتَّعظ بفشل التجربة التي يُمثلها حزب البعث العربي الاشتراكي، نظراً وعملاً، ثقافة وسياسة /.../ فهذه الإيديولوجية لم تخنق الفكر وحده وإنما كادت أنْ تخنق حركية الإنسان وحركية المجتمع** » [1].

يقوم أدوونيش ويواجه رئيس بلاده بحقيقة الوضع وبكل احترام يخاطبه بلغة مسلمة علَّه يعْتبر ويفهم ما أراده فرد من شعبه صراحةً، فالخراب صار عقيقاً لا يمُدُّ البلاد أطراف موجبة تجعل الشعب يرضخ لحاكمه، ويختم أدونيس رسالته فيقول: « **السيّد الرئيس، تحتاج سوريا، اليوم، أكثر من أيِّ وقت مضى، إلى أنْ تبتكر للعرب أبجدية سياسة، /.../ أنت الآن مدعوٌ تاريخياً، لكي تفكَّ هذه المماهاة بين سوريا وجزب البعث العربي الإشتراكي، فسوريا أرْحب، وأغْنى، وأكْبر من أنَّ تختزل في هذا الحزْب، أو أيِّ حزب سواه، أنت مدعوٌ إنسانياً وحضارياً، أنْ تكون إلى جانب سوريا، لا إلى جانب الحزب** » [2].

يدعوا **أدونيس** في الجزء الأخير من برقيَّته إلى ضرورة التعديل السياسي، الذي اختزله الحكَّام السُّوريين في حزب البعث، فمصلحة سوريا أكبر من أيِّ مصلحة أخرى فلا

---

[1] أدونيس، دراسة مفتوحة إلى الرئيس بشار الأسد– الإنسان، حقوقه وحريَّاته، أو الهاوية، الحوار المتمدن، (ع3396). 2011/09/14م، ص:06.

[2] المرجع نفسه، ص:07.

يمكن اختزال بلاد الجوار في مراسيم حزبية –**فاشلة**– لم تعد على قيد الحياة، وهذا التجديد أو التغيير يجب أنْ يكون على محمل الجدِّ والسرعة والإستدخل سوريا، تلك الأرض الفريدة، مهبط الديانات، أرض الأنبياء، أقدم آثار بشرية في التاريخ، إلى حروب أهلية طويلة الأمد قد تكون أشدَّ تدهوُراً مما حدث في العراق. يكفي هذه الأرض الجميلة ما عنته من تمزق وتشرُّد.

نختم هذا الجزء بأنَّ الصراع السياسي ماهو إلاَّ صراع للإستراتيجيات والمصالح، أمَّا الصراع الديني فهو نتيجة لاختلاف الطوائف التي تدينُ كل طائفة منها إلى توجُّه محدّد، وأخيراً وبما أنَّ المجتمع يسبح وسط مستنقع الصراعات الدينية والسياسية، فلا بدَّ أنْ تتضارب في الزوايا الاجتماعية لكل تعدُّدية بشرية فيه.

2- الموت والحب زمن الحرب:

الموت هو انتهاء أجل الإنسان والإنتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة، وهو حقيقة تتربص بالجميع، لا مفر منها ولا هروب، لكن الموت في مواسم الحروب يحمل لوناً آخر، تتغير مفاهيمه ليسلط على الكون قوانين أخرى، فنصبح لا نرى سوى سحباً من الظلام تلف عالمنا، وصقيعاً من الخوف يجثُم فوق قلوبنا وأعمارنا، فتكثر الدموع على من غادرنا، ومن بقي في مهب المجهول فتصمُتَ أصوات البراءة، وتصرُخُ أبواق الوحشية، معلنة عن تمزُّق لوحات الحياة.

«**الحرب كانت، أعتى الأحداث وأوسعها تدميراً لكلِّ ما له قيمة إنسانية** »[1]، تغيب إنسانية البشر وترحل منتظرةً ركوب قطار السلام للعودة، فالموت هديَّة من الخالق لهؤلاء البشر الذين عاث فيهم غدر الحرب ولوعتها.

يحْبك لنا "**ابن حلب**" خيوطاً روايته "**الموت عمل شاق**" عن فعل الموت الذي انصهرت كلَّ تفاصيلته في حضرة الحرب، ليغيِّر من ابتلاء إلى خلاص يثير حسد الأحياء « **لكن في الحرب مرور جنازة حدث عادي لا يُثير أيَّ شيء سوى حسد الأحياء الذين تحوَّلت حياتهم إلى انتظار مؤلم للموت** »[2]، فمن مات كان محظوظاً لأنه تحرَّرٌ من عتق الحرب البربرية، تقليدية الموت غير مباحٌ بها في عصر الحروب، فمن على غفلة لابدّ أنْ يجعله نُصب عينيه « **ومن الواضح أنَّ شأن الحرب أنْ تحتاج هذه المعالجة التقليدية للموت، فلن نعود ننكر الموت، فنحن مضطرون لأنْ نؤمن به**»[3].

---

[1] سيغموند فرويد، الحب والحضارة والموت، تر: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، (ط02)، القاهرة- مصر، (1412هـ-1992م)، ص:10.

[2] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:11.

[3] سيغموند فرويد، أفكار لأزمة الحرب والموت، تر: سيميوكوم، دار الطليعة، (ط01)، بيروت- لبنان، 1977م، ص:30.

فمبدأ الموت عنصر المفاجأة، لكنها تزيد عن المفاجأة إلى العبثيَّة المرَّة « **إذن، فالحرب التي رفضنا أنْ نصدَّقها قد اندلعت وجلبت معها التحرر من ألُوهم، وهي ليست فقط أكثر هدْراً للدماء وأشدُّ تدميراً من أيَّة حرب ماضية، بسبب الكمال المتزايد على نحوٍ هائل لأسلحة الهجوم والدفاع لكنها على الأقل على الدرجة نفسها من القسوة والمرارة والعناد** » [1]، كيف لا وهي التي تخلف وراءها كلَّ أضرب المأساة، القهر، والحزن والقسوة، نعم إنها الحرب، التي لا تفرق بين ضحاياها، إنها الحرب التي تصوِّر للعالم كلَّه بطشها في أرض حوَّلتها إلى مقبرة جماعية، صاحب حظٍ وافر من يحظى فيها بقبرٍ وحزن ذريةٍ وبكائهم عليه، نعم إنها الحرب العمياء التي تخطف أبناء سوريا بذريعة مقاومة الإرهاب، عن أيِّ إرهاب يتحدَّثون ؟ !

إنهم من عذّبوا، وقتلوا وشرَّدوا، وما الحرب إلاَّ إرهاب في حدِّ ذاته. وفي أوقات مختلفة وبأعمار مختلفة أيضاً ترمي الموت بصنارتها وسط بحر البشر لتصطاد منهم ما يُشْبع جوعها « **الحرب تواجه الإنسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به، لأنَّ الناس في الحرب لا يموتون بالآلاف بل بالعشرات في وقت واحد، بل بعشرات الألوف في اليوم الواحد، ولم يعُد الموت صدفة** »[2].

من همجية الموت التي تطلق عنانها، عبَّر "**فرويد**" عن التناقض الكامن في سماح الدُّول لنفسها إقتراف أشكال لا تُعدُّ ولا تحصى من الظلم في حق أناسٍ أبرياء لم يقترفوا أيَّ ذنب يجعلهم يتحكمون يومياً بلا موعد مسبق.

« **عندما تكون دولة ما في حال حرب، تسمح لنفسها باقتراف أنواع شتى من العنف والقطاعات التي يمس أصغر أشكالها المرء في شرفه** »[3]

---

[1] المرجع السابق، ص:13.

[2] سيغموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت، ص:30.

[3] جولي مراد، تأمُّلات معاصرة في الحرب والموت، دمشق- سورية،

WWW.maaber.org

يتغير السلوك الفرد أثناء الحرب حيال الموت، فيحسُّ الإنسان بشُحنات الخيبة والانهيار. اليأس، العدوانية والبؤس.

نقل إلينا أنَّ سوريا ما يحدث من دمار في واقع سوريا الغير محسوم، الموت الذي عانى منه السوريون تحت الحكم الجائر، فروايته ماهي إلاَّ مشاهد درامية تسرد لنا رواية الخوف، الحب والموت.

رحلة تدوم ساعتين، وعلى طول مئتين وخمسون كيلومتر، تتحوَّل إلى سفرية تدوم لثلاث أيَّام مصحوبة بحواجز نفسية تحرقُ الأعصاب وتُتلف الأذهان، فالموت لم يعُد ذلك الكرنفال الأسود بلْ تَحوَّل إلى ورقة يا نصيب الكلُّ يتمنَّى أنْ يقتطع تأشيرتها، فالوضع لم يعد يحتمل أبدًا، فكأن ما يحدث تمثيلية مصغرة لجهنَّم الأم.

في ظلِّ هذا المشهد السوريالي، الرواية وصيَّة تبدو عادية للغاية، يطلب فيها الأب من ابنه أنْ يدفنه بمسقط رأسه بالعنابيَّة وتحديداً قرب قبر أخته "**ليلى**"، لا شيء يبعث بالغرابة في هذا الطلب العاديمن أب يحتضر، وفي لحظة شجاعة من الابن "**بلبل**" وتحت تأثير آخر كلمات سند الحياة–**الأب**– وافق بلْ وعد الابن أباه لتحقيق رغبته الأخيرة، فنبدأ رحلة شاقة تجمع الأبناء الثلاثة على قضاء أصعب الأوقات مع بعضهم البعض، « **بلبل في لحظة شجاعة نادرة وتحت تأثير كلمات الفراق الأخيرة وعيني أبيه الغائمتين الحزينتين، تصرَّف بثبات ودون خوف، ووعد أباه بتنفيذ وصيّته التي كانت رغم وضوحها وبساطتها مهمة شاقة** » [1].يلم الموت شمل العائلة التي تشتت بعد وفاة عمود المنزل وركيزته – **الأم**– فمنذ عشرة سنوات لم يجتمعوا كعائلة إلا في ساعات الواجب مما أعاد طرح فكرة الاجتماع من جديد، وكانت آرائهم مختلفة حيال اجتماعهم، فحسين لم يكن مكترثاً بذلك، وبلبل كذلك، أمّا فاطمة: فكانت تحاول القيام بدور الأخت التي تعوَّض الأمَّ، لكن فاطمة لم تكن بتلك القوة التي تمتلكها أمهم.

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:05.

همجية الموت لا توصف ولا مثيل لها – إلاَّ بزمن الحرب– « **فالقتى في كل مكان، يدفنون في مقابر جماعية، ودون تدقيق في هوياتهم، مراسمُ العزاء حتى بالنسبة للعائلات الغنية اختصرت إلى ساعات قليلة، لم يعد الموت كرنفالاً يستحق إعلان النفوذ** » [1]، تساوي الموت بين الجميع فهي عمياء لا تفرق بين ذلك الرجل الغني لسكان القصور وذلك الفلاح الذي يعيش بموسم الزيتون –**عمياء غير ظالمة**– بلْ أكثر من ذلك الحدث الحزين الذي يفجع الأفئدة، صار البشر يعدُّونه نافدة الخلاص من جحيم الحرب « **لم يعد الموت فعلاً يستدعي الانفعال، بل أصبح خلاصاً يثير حسد الأحياء** »[2]، وسط زحمة الجثث المرمية في كل صوب وفي كل قطعة من أطراف البلاد، يحسُّ الابن بصعوبة تنفيذ طلب الوالد « **بالنسبة لبلبل كانت القصة مختلفة تماماً، جثمان أبيه عبء ثقيل، في لحظة عاطفية خاطئة وعده بدفنه في قبر عمته ليلى التي لا يعرفها** » [3].

الوصية مأزق يطوِّق الإخوة الثلاثة طول درب السفرية الغامضة، التي يمشي فيها الميكروباص نحو المجهول رفقة الجثة المبِتتة الغير مكترثة بعفن وأهوال الطَّريق التي كادت أنْ تودي بحياة الجميع. تمثل صورة الأبناء الثلاثة: بلبل (نبيل)، فاطمة وحسين، خطوط الهيكل النفسي لذلك المواطن السوري المُحافظ، الذي يمَثِّل الركن الأعلى في العائلة السورية –بصفة خاصة والعربية بصفة عامة–، يقابل الابن بلبل بتفاهة موت والده الذي كان طبيعياً، فلم تصبه رصاصة قنَّاص ولم يقتل معذِّباً، ولم يُحرق بقنبلة ساقطة من طائرة حربية – روسيَّة– « **أخبره عن موت أبيه بشكل طبيعي منذ ساعة في المشفى، ضحكَ السائق وأخبره ثلاثة من اخوته وأولادهم ماتوا الشهر الماضي في القصف** »[4].

---

[1] المصدر السابق، ص:06.

[2] المصدر نفسه ، ص:06.

[3] المصدر نفسه، ص:06.

[4] المصدر نفسه، ص:08.

ما يعقد الأحداث أكثر فأكثر كون الأب من الفاعلين في الثورة ومَنْبَتُهُ منطقة ثائرة ضد النظام، تنطلق سفريه الأب الميت بميكروباص الأخ الأصغر حسين، لينقلوا الأب الحجة من دمشق إلى العنابيّة، يُخبر مدير المشرحة المعنيين بحمل جثمان الأب، فوتيرة الموت بسرعة الضوء، الموتى يفتعلون الاكتظاظ وسط البرادات التي تعج بالموتى المكدسين فوق بعضهم فيها.

آه، من الموت الذي أصبح له ثمن في زمن الخراب، « **مئات الجثث تضيع في هذه الفوضى وتسمى /.../ دفع ثلاثة آلاف ليرة لمسؤول المشرحة مقابل سماحه للممرض بمساعدته في تغسيله وتكفينه في حمام الموتى القذر** »[1]، التغسيل والتكفين بمقابل في عهد الدمار، بلْ إنَّ الجثة كاملة ضربة حظ، فمن له الجثمان كامل ليودِّعه، محظوظ، نعم إنها عبثية الموت الصارخة « **من الممكن اكتفاء الأحبَّة بقميس ممزق، أو رجل مقطوعة وملفوفة بكفن ضمن تابوت لا يمكن فتحه، عائلات كثيرة دفنت أحبَّتها دون أنْ يشاهدوا المنظر الفظيع لعبث مقطعة الأوصال** »[2].

بدأت رحلة الميكروباص والجثة والأبناء، بعدما حضَّروا تجهيزات السفر ومن حُسن الصدف؛ أنَّ الأب لم يتوف بفصل الصيف ليزيد من تعقيد الوضع إلى الهلاك الخانق « **من حسن حظهم أنَّه لم يمت في شهر آب حين ينهش الذباب الأموات** »[3]. على رغم موت الأب الطبيعي وموت الأب بفصل الشتاء وموت الأب وسط عائلة، إلاَّ أنَّ مطلبه كان أمنية صعبة المنال، تكاد تكون مستحيلة، فالابن بلبل تمنى في أقصى دواخله لو أنَّ أباه توفي بزمن غير الحاضر، لكان تنفيذ وصيَّته سهلاً ميسور التنفيذ.

الدفن صار عمله نادرة، فالجثث فقدت كرامتها، هي الآن –عصر الحرب– تنتشر في كل حدود الأرض، لا تجدُ أكُفاً تحملها لتبلغ ثراها، فتدفن الأجساد مع أخرى غريبة عنها في

---

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:09-10.

[2] المصدر نفسه، ص:82.

[3] المصدر نفسه، ص:15.

مقابر جماعية حيث تختلط الدماء والأشلاء المبعثرة في أماكن لا يعقلها أحبَّتهم، القتلى يتساقطون على مدار الساعة دون توقف، فالرحلة تمر على طريق أرصفة مصبوغة بأحمر الدم.

يصحب بلبل مع الندم شعور الاستحياء من نسبة عند اعتقال جثة الأب الثوري، الذي كان مطلوباً لدى المخابرات كونه ضدَّ النظام الجائر.

فحاول بلبل أنْ ينفي علاقته بوالده وتصلُ معه إلى حدِّ الشتم أيضاً: « **كان كلام الضابط بارداً، رجاه بلبل السماح لهم بمتابعة السفر، أضاف أنَّه مؤيد للنظام ولا علاقة له بأبيه، ويعيش في منطقة «م» المختلطة منذ أكثر من عشرين سنة، شتم بلبل أباه أمام الضابط** » [1]، لعنة الحرب مجسَّدة في ثنايا كلِّ الرواية، فمشهد شتم الابن لوالده يعمق تلك اللعنة، ولو أنَّ الموتى يشعرون. لكان عبد اللطيف الأب قد تمناه قبل أنْ يسمع –**ذلك**–

نعم إنَّها الحرب من تسلخ العواطف، تنشر الأحقاد وتجسم الأرواح إلى أجزاء لا تُرى بالعين المجردة، فالأب ذلك الأسد الحامي لمنزله يصبح إنساناً غريباً صباح شتمه !

"المال من يشقُّ طريقاً في البحر"، هذا يقول المثل الذي تتداوله كلُّ الألسنة في مجتمعنا العربية يبقى المال ما يحلَّ أصعب المشاكل وكلَّ ما استعصى على الإنسان حلَّه، مبالغ متفاوتة منه «**استجمع كلَّ شجاعته، عرض على العنصر الذي شرح له الإجراءات رشوة، سمّاها بكل تهذيب رسوم عبور بضاعة، نظر إليه العنصر ساخراً من خفره، واتفقنا على عشرين ألف ليرة سورية في حال موافقة رئيس الفرع على إخلاء سبيل الجثة المتعلقة** » [2]، حاول الأبناء حلَّ مشكلة اعتقال الجثة مقابل مبلغ من المال وتحرير الجثة لمواصلة الطريق، ومن الرشوة المدفوعة لتسريح جثة إلى حقارة الموت التي تدفع بالأبناء إلى التخلص من جثمان والدهم « **قال إذا اعتقلوا الجثة فسيتركونها لهم يتصرَّفون فيها**

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق ، ص:27.

[2] المصدر نفسه، ص:28-29.

بطريقتهم، يخرقونها، أو يبيعون أعضائها أو يرمونها في قبر جماعي فماذا يهم الميت في النهاية ؟ » [1].

الموت له ثمن، يتحاور فيه، فيصبح للجثة التي لا حول لها ولا قوَّة سعراً قابلاً للمساومة «**فخاف بلبل من أنْ يكمل حسين الجملة ليقول إنَّ أباهم لم يكن يساوي مثل هذا المبلغ حيّاً فكيف به بعد أنْ تحوّل إلى جثَّة ؟ /.../ اقترح بعد دقائق رمي الجثة على حافة الطريق** » [2]. لعنة القدر باتت تلاحق الجثث، الفساد هو الحرب، والحرب هي الفساد، فهويَّة الأب، هوية قاتلة دفعت بابنه إلى تمني لو كان والدة كيس كمون، أوبصلاً أو قمحاً.

خفة الرحيل أمر مستحيل، تعطِّل الإخوة في مواصلة نهجم نحو مرادهم، فالبشر باتوا بالنسبة إلى الدولة مُفرغين من أيِّ كيانٍ مادي أو روحي، كل إنَّ الواحد منهم يمكن اختزاله بمجموعة وثائق وأوراق، لذلك قلا عجب لو انتهكت الجثة، أو حتى رُدمت على الطريق لتنهشها كلاب البراري.

بعد إطلاق سراح الجثة، يُكمل الإخوة ووالدهم الجثة الطريق وعذابات الحواجز وبسبب اليأس والقهر، يدخل الأخوين حسين وبلبل في شجار حادٍ بعد توالي الحرب الأعصاب التي يمارسها الحواجز على طول الطريق، سواء تابعة للنظام أو تابعة للإسلاميين المتشددين أو ميليشيات القتل الطائفية المختلفة التابعة للنظام، فكلُّ الأطراف تقتل، القتل لا يشبعن والحرب تطلب المزيد، فهناك موت يكفي للجميع رائحته –**الموت**– تفوح رائحتهمن كلِّ بيت وزفاف، ويزيد رهبته الكرباء تزيد تفاهة الموت و« **تمادى حسين، بدأ يُغني بصوت مرتفع مع الراديو الذي كان يبث أغنية سارية الوسواس، ضاعت ماهية الموت** » [3]، هذا العذاب بأُمِ عينه اللَّوعة والجنون الخُرافي.

---

[1] المصدر السابق، ص:30.

[2] المصدر نفسه، ص:32.

[3] المصدر نفسه ، ص:.97

ووسط هذه الحواجز تتغيَّر حالة الجثة، فالموت لا يبقى طازجاً مع توالي الساعات، فكيف الأيَّام ! صحيح هي لا تشعرُ بالحرب الغاشمة ولا المقاتلين ولا الجواجز لكنَّها تأخذ ألواناً من الأحمر القاتم، الأزرق إلى اللالون بعد ذلك. «**كرَّرت فاطمة تنبيهها إلى الجثة المفتوقة، وقد بدأ خيط قيح كريه ينسلُّ من الفتق، أوقف حسين السيَّارة، التفت إلى فاطمة وقال غاضباً، فلتتحوَّل إلى خراء، شتم أباه والعائلة** » [1].يسبُّ الابن حسين أباه وينعته بأفضع الصفات، بعدما أخذ منه التفسُّخ قسماً كبيراً، فالابن ذلك النموذج المثقف صاحب المكانة المرموقة وسط مجتمعه المدني، الذي شغل فيه أستاذًا يسيل قيحاً وسط عائلته، التي كان من المفروض أنْ تكون صورته وهو جثمان جميلة، كونها آخر ما تلتقطه عيون أحبته، إنها صورة الختام بين الأحياء والأموات.

يحاصر الكلاب ميكروباص الإخوة وأبيهم، الذي تحوَّل للأسف إلى جيفة تستدعي رائحتها الكلاب « **بدأ يشعر برعب حقيقي من صورة أبيه، لقد أصبح جيفة تثير شهية الكلاب، إنها أكثر درجات انحطاط الجسد** » [2]. الموت تصل إلى أكثر نقاطها دناءة وحقارة بفعل الحرب –**طبعاً**– الأب صار وجبة شهيَّة، يتسابق قطيع كامل من الكلاب لالتهامها.

كلُّ شيء مباح في الحرب والحب، فتفُّسخ جثة وتعفُّنها سُنَّة عاديَّة لا تثير انتباه من فقدوا أحبَّتهم فأرواحهم منفيَّة وعواطفهم تجمَّدت كالقطبين وتحت نزول المطر الغزير، الذي بدوره يرتاح تارة ويسقط تارة أخرى، زاد من كآبة نفسيَّات الإخوة، فاحتدم صراع من نار بين حسين الذي صمَّم رميَ جثة والده في العراء، يحاول بلبل منعه وتدخل فاطمة بينهما لفكِّ شجارهما فيسبُّ حسين أخته ويُبرح أخاه بلبل ضرباً، لينتهي عراكهما بالبكاء المصحوب باليأس القاهر والعجز الخانق، تستسلم فاطمة للخرس ثم تستسلم أيضاً للدود الذي يتساقط من جثمان الأب، فالجثَّة تدهورت إلى حدٍّ أنَّها تكاد تنفجر، ولو كانت تقدر النطق لما قالت

[1] المصدر السابق، ص:110.

[2] المصدر نفسه ، ص:115.

التراب. التراب، فإكرام الميت دفنه، الدفن الذي أصبح شاقاً مشقَّة الحرب الغاشمة، تكفي عبد اللطيف الآن حفنات تراب، حفرة وصلاة سريعة، قبل أنْ يحدث ما لا يحمد عقباه.

« **أشارت بأصبعها إلى جثة أبيها التي تتناسل الديدان منها بكثافة** » [1].

يصل حسين برفقة فاطمة الخرساء إلى العنَّابية مشلولي النفسية، يكبِّل أعضاءهم التعب ومشقة كابوس فضيع، أمّا بلبل فقد فشل في احتجاز الإستجواب الديني آخر حاجز، والذي تسيطر عليه ما يفرق بجماعة "**داعش**" في حين اجتيازه حسين الذي له معرفة بأمور دينه، التي يجهلها بلبل وبإعانته من أبناء العم وأقاربهم، يُدفن عبد اللطيف أخيراً، ولكن ليس كما طلب، صحيح دفن الأب لكن لم تتم الوصيَّة كما طلب، فابن عمِّهم نايف « **حفر قبراً لعمِّه بعيداً وضائعاً في زحمة القبور فبقيت ليلى متفرِّدة، بعيدةً منبوذةً** » [2].غسَّل الأهل عبد اللّطيف الذي كان الدود ينخره ودفنه بعيداً عن أهله وعن أخته، أيْن طلب أنْ يُدفن، ثم ساعدوا بلبل في الإفراج عنه والذي « **كتم غيضه حين رأى قبر أبيه بعيداً عن كل القبور، لم يدفن قريباً من قبر أخته ولم تكتمل الوصيَّة كما لم يُدفن قريباً من أمّه أو جدِّه أو جدَّته، كان قبراً منفرداً في زاوية بعيدة من المقبرة** » [3].

لقد حاولنا، مما سبق أنْ أجمع مشاهد الموت الواقع تحت نير سُلطة شبح الحرب، الذي حوّل جثة إلى جيفة تقطر قيحاً ودوداً.

الموت عصب الرواية الرئيسي من خلال الأب عبد اللَّطيف ورحلة عويصة جمعت أبناءه عند تشييع جثمانه إلى مسقط رأسه، ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الموت طال كلَّ المجتمع بما فيه شباب الأمّة كهولها، عجائزها، وشيوخها، وأصبح الموت مسلَّطاً على كل الشعب السوري بدافع الحرب اللَّعينة فالعجوز الثمانينية أمُّ إلياس ماتت ذبحاً.فالحرب مثلما تنشر الموت، فهي تنشر الفساد والجريمة أيضاً كما أنَّها تقطف شباباً في عمر الورود، فنيفين

---

[1] المصدر السابق، ص:142.

[2] المصدر نفسه، ص:142.

[3] المصدر نفسه ص:149-150.

زوجه –**الثانية**– عبد اللّطيف فقدت ابنها؛ هيثم الطيب، الذي ارتكب ذنباً لا يغتفر عند مساعدته للثوّار ولذلك قُتل برصاصة في الرأس، أمَّا رامي فقتل في معركة لتحرير فرع الأمن العسكري /.../ وما هؤلاء إلاَّ نقطة من بحر الدم الذي يتخبَّط فيه الفرد السوري.

الموت يجسِّد أيضاً في تجمُّد العاطفة وموتها بين أبناء العائلة الواحدة، فهذا أيضاً يوضع في خانة الموت البيروقراطي.

في عالم الكلمة، الفرقُ بسيط بين الحب والحرب، أمَّا في عالم الواقع، فالأوّل حياة والثاني موت، فهل يتقاطع الحب مع الحرب ؟ وهل يساعدنا الحب في الحرب لنمضيَ قدمًا ؟ أمْ أنَّ الحبّ مستحيل في زمن الحرب ؟

الحب هو الحنان، الأمان، العطاء، المشاركة، العطف، الوفاء، الصدق، شوق افتقاد، امتنان وعطف، عادة ما يجمع الحب طرفين، "**فآلان بايدو**" يقول في هذه العاطفة «**خيرة اثنين، نعيش انين، خبرة الاندماج المخلص داخل الفكرة** » [1]، يتجاوز الحبّ هؤلاء الاثنين، فالأب والأم يحبّان أولادهما، والثائر يحب ثورته، ورجل الدِّين يحبُّ الامتثال لأوامر خانقة ، الحبُّ إذنْ، تلك العاطفة الجميلة التي لا زمن لها، «**مصدرُ الحبِّ ومبدأه هو الإنسان، هذا الكائن الذي يحمل رغباته وتحمله أهواؤه** » [2]، والتي يمارسها البشر فيما بينهم، وهو كذلك –**الحب**– أحد أسباب قيام الحضارات، فهي « **كلُّ حدث ووفعل ونشاط إنساني على أرض البشر /.../ وما صراع الحضارات في أحد وجوهه إلاَّ تمثيل واقعي لصراع الحب مع الموت** » [3].

---

[1] آلان باديو، في مدح الحب، تر: غادة الحلواني، التنوير والطباعة والنشر، (ط01)، بيروت– لبنان، 2014م، ص:34.

[2] علي حرب، الحب والفناء تأملات في المرأة والعشق والجود، دار المناهل، (ط01)، بيروت– لبنان، (1411هـ–1990م). ص:08

[3] باتريك زوسكيند، عن الحب والموت، تر: نبيل الحفار، تق: لطيفة الدليمي، دار الهدى، (ط01)، بيروت– لبنان، 2017م. ص:09–10.

رغم كلّ نوبات الألم المتتالية في الرواية، إلاَّ أنّها لا تخلوا من أنبل شعور بشري، فقصة ليلى أخت عبد اللّطيف دليل على ذلك، فاختارت الموت على أنْ تعيش مع رجلً لا تحبه ولم تختره «**ليلى فتاة جميلة جداً، قويَّة، ولم تقبل حياة ذليلة اختارها لها الآخرون، لذلك اختارت موتها بنفسها**»[1]، فلقد أحبت ابن عمِّها الذي تزوَّج فتاة غيرها «**عاشت خيبة مبكّرة حيت تعلَّقت بابن عمِّها المقدِّم جميل، الذي تركها وتزوَّج فتاة غبيَّة، بيضاء، أهلها أقوياء ويملكون الكثير من الأراضي** » [2]، ورغم كلَّ ما صدر عن ابن العم الذي فضَّل المال عن ليلى، إلاَّ أنه عندما أعدمه النظام، رثَتْه كما ترثي امرأة زوجها، نعم يا سادتي إنّه الحبُّ.

يشاء القدر أنْ يتزوج صديق **عبد اللّطيف** الحميم "**نجيب عبد الله**" من الفتاة التي أحبّها والتي كانمن المفروض أنْ يصارحها بحبِّه لدى عودته من السفر تنجب **نيفين** ولدين تأكل الحرب شبابها وقبل ذلك مات زوجها، لتحُلَّ مشيئة الحياة، فتزوجها عبد اللّطيف من جديد وفي عمر متقدِّم وفي زمن ملبَّد بالدم والموت –**الثورة**– يفعل ذلك بعدما كان قد فقد زوجته هو الآخر، فيرجع **نيفين** كلَّ ما عاشه لوحده من حب وغرام، لتُقرر قبول عرضه، ويقضي كليهما آخر سنين سويَّة: «**جلس قربها ولم تمهله كثيراً كي تخبره مرة أخرى بأنها لا تريد قضاء بقيّة عمرها وحيدة /.../ التقط عبد اللّطيف يدها وقبَّلها بخشوع، تحسس ذراعها، ثمّ غرقا في قبلة طويلة استمرت لدقائق اعتبرها عبد اللّطيف القبلة الوحيدة، في حياته** » [3].

نجح عبد اللطيف في إلتقاط باقة الورد الطافية على نهر الحياة، فكانت **نيفين** سعادته التي لطالما حلم بها، فزواجهما، ولو كان متأخراً، كان هدية الربّ لرجل النظال والكفاح، الوالد يقابله فشل الابن بلبل (وهو الاسم الذي كانت **لميا** تحبّ مناداته به) في

[1] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:62.

[2] المصدر نفسه، ص:106.

[3] المصدر نفسه ، ص:76.

التقاط باقة الورد، فعشقه بقي يحفرُ بين ضلوعَه إلى تأخر سطور الرواية، كان العائق في ارتباطهما بالدّين، **فلميا** كانت فتاة مسيحيّة وبلبل كان مسلماً، ضلَّ حبُّه لها يراودها أين ما حلَّ وارتحل « **كان يخاف عليها من الأذى /.../ ستقول له أحبّك ولكنني لا أستطيع الزواج برجل مسلم** » [1]، لكن ورغم ذلك الحاجز بقي يُكِّنُّ لها كل مشاعر الحب والعنف و العَذْب، وهي الأخرى بقيت مع تواصل معه حتى بعد زواجها – **هو الحبُّ يا حضرة البشر**–

نخلص مما سبق إلى أنَّ الحرب قد شوهت منابر الإنسانية، قضت على أخضر ويابس سوريا سوريا تنزف كما ينزف الأب الجثة، ولم تكن الجثة لوحدها من يتحوّل ويتغيّر وإنما كل أطياف المجتمع ذاقت طعم الحرب المدمرة، فالأبرياء يتساقطون بلا رحمة، ورغم آلام الموت وبكلّ تداعياته المؤلمة التي صبغت أحداث الرواية، إلاَّ أنَّ الحب موجود، إنّه بصيص أمل وحرية أيُبشر بقدوم الشمس ورحيل الغيوم.

[1] المصدر السابق، ص:47.

3- رمزية الأب في الرواية:

تحتفل روايات عديدة بتصوير الأب من حيث هو موضوع سردي، غير أنَّه من اللافت للإنتباه أنَّ نجد رواية تُصوره من بديتها

حتى نهايتها إلى درجة أنَّه يمكننا القول أنَّ شخصية الروائي "**خالد خليفة**" البطلة هي من تحرِّك خيوط الحكي في الرواية.

الأب عماد الأسرة، حزام الأمان وطوق الحماية، ذلك الرجل الذي يعتني بالعائلة ويتولى زمام إدارتها ومسؤولية إشاردها، ولقد عرفت مجتمعاتنا العربية نظاماً يقوده الأب، فيحتكر السلطة، والنفوذ والتصرّف في حياة كافة الأفراد منذ نعومة أظافرهم إلى غاية بناء مستقبلهم، وهذا الشكل المرسوم لا يزال قائماً على الرغم من ما اعتراه من تغييرات ممختلفة بسبب ظروف عديدة منها بالدرجة الأولى نمو الوعي، التوسُّع والتطور الذي لحق ببنية حياتنا في هذا العصر « **تقييم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس الذي ظهر منذ استقرار المجتمعات البشرية الأولى بعد اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوان مازال قائماُ لحدِّ اليوم** » [1]، وانطلاقاً من مرتكزات دينية وثقافية واجتماعية متوازنة حافظ المجتمع العربي على أهم سيمات النظام الأبوي وهو السيطرة، فهو بالإضافة للمرأة يشكِّلان العمودالفقري للمجتمع.

يضعُنا الروائي "**خالد خليفة**" أمام شخصية الأب **عبد اللّطيف**، ذلك الرجل المثقف، الذي شَغِلَ منصب أستاذ جغرافيا، بعدما لاذَ بالفرار من قريبته إلى المدينة « **رفض الأب المشاركة في ثاراتهم العائلية، التي اعتبرها تخلُّفاً لا يليق بأناس يعيشون في أواخر القرن العشرين** »[2]، فعقائد قريته وطريقة تفكيرهم، لم يقدر أنْ يهضمها فاختار الرَّحيل، ليصبح أستاذاً في مدينته الجديدة رجلاً محترماً الكلُّ راضٍ عنه، ولكن ذلك الأب ولتبقى صورته

---

[1] بابوري زليخة، غروق سليمة، الأب والسُّلطة الذكوريَّة في الرِّواية النسويَّة الجزائرية، (رواية رجالي لمليكة مقدَّم أنموذجاً)، إشراف: ليندة مسالي، جامعة بيجاية- الجزائر، 2015م، ص:08. (مذكرة ماستر)

[2] خالد خليفة، الموت عمل شاق، ص:87-88.

برَّاقة، عاش في الأوهام من أجل الحفاظ على مكانته في الخارج، فالخلل الأسري واضحٌ في الرواية « **المثقف إذنْ رجل العالم والمعرفة والموقف الحضاري العام تجاه عصره ومجتمعه** » [1]، فالأستاذ ويُحكم ثقافته حاول قدر الإمكان أنْ يحافظ على صورة العائلة المتكاملة والتي هي في الحقيقة خاوية، خالية من إطارات التزيين، فالأب، ذلك الرجل الذي عاش احباطاً كبير بعد ما تزوَّج صديقه فتاة قلبه، ليتزوَّج امرأة وينجب أطفالاً، لتصبح حياته روتيناً عادياً، تموت الزوجة ويحلُّ وباء الحرب وبالرغم من مرارة ما يحدث إلاَّ أنَّ الأب اختار أنْ يواصل آخر عمره مع حبِّ حياته، مواصلاً عطاءاته في مساعدة الثُّوار ليموت ويبدأ الأب الجثَّة بالتفسُّخ من حالة إلى أخرى أدهى، فجثمانه المتعفَّن رمز عن رداء الذل الذي قد خلع، والجثَّة أيضاً رمز عن الانحدار للخوف وانتصار الحياة.

تشييع الأب رمز واضحٌ لوداع سوريا التي سقطت مع سقوط الأب، سوريا التي جعلت الحياة اليومية تافهة بلا مغزى، تخنق الفرد السوري الذي يحمل جثّةَ في دواخل روحه، فيحاول الانسلاخ عن هويَّته والفكاك منها، لكن هل يمكن نسيان كلّ تلك الخسائر ومشاهدة الجثث ؟ وهل تقدر الذاكرة على تجاوز ذكريات الأسى والتخلص منها كمن يقطع يده ويكوي الجرح ؟ !

إذنِ، تجسَّدت رمزية الثورة في جثَّة –**الأب**– على طول طريق الرحلة الوعرة، فهي المعادلة السورية التي يمسك الجميع، بزمام أمورها ما عداها هي، الأب هو الحقيقة الكبرى والرمز الأكبر في النص، فكلما قلبت صفحات الرواية تتكاثف دلالات صورية ودلالات جثَّته، فهو الوهم الذي يودُّ الأبناء من خلاله إيهام أنفسهم بضرورة تمسُّكهم بجذورهم الواحدة، هو رمز الجيل، رمز الثورة بوجهها السلمي، رمز المثالية في الثورة، رمز التغيير الذي يريد فرض نفسه زعماً عن أنف الجميع، رمز المتبقي من الإيمان بالعدل، أيضاً رمز تفسُّخ مفهوم العدل بذاته، فيمضي الوالد **عبد اللّطيف** بأوهامه الجميلة ويترك ابنه **بلبل** ليُواجه الواقع

[1] عبد السلام محمد الشاذلي، شخصيّة المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة، (ط01)، بيروت– لبنان، 1985م. ص:27.

المجهول، وفي كلِّ خطوة نحو الأمام يكتشف **بلبل** خيال الأب، لكنَّه لا يحمل عداءً له كما يفعل **حسين** الذي يُشفق على آماله الباهتة.

الرَّمزية الصادمة، التي عمدها الكاتب في روايته « **الطريقة المثالية الممزوجة بالرموز تبدو الأكثر مناسبة في نقد أوضاع قد لا يكون نقدها المباشر وقف المنهج الواقعي ممكناً أو ميسوراً**»[1].

جعلته أكثر حريَّة للوصول بمجتمع القرّاء إلى منافذ تخييلية، يرصد من خلالها أزمة الأم سوريا التي تبكي كلَّ يوم ولا أحد يتحرَّك له ساكنٌ.

[1] محمد حسن عبد الله، الريف في الرِّواية العربية، عالم المعرفة، (دط)، الكويت، 1989م، ص:116.

خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية، وككلِّ بحث أكاديمي لابدَّ من الوصول إلى نتائج؛ فلقد آن الأوان لحطِّ الرحال، وفي نقاط وفق مسار الخطة التي سار عليها البحث، نستنتج ما يلي:

- إنَّ الأدب عامة والرواية خاصة، أداة لتصوير الحياة الإنسانية والاجتماعية –تحديداً– فهي وسيلة تعكس تطّور النشاط الفكري والمعرفي للمجتمع، ولاتصالها الوطيد بالمجتمع؛ فهي تعكس سرَّ وجود أفراده.

- كل رواية ما هي إلاَّ صورة تعبيرية عن نظام من الدلائل والواقع، ومنه فإنَّ الأيديولوجيا مكوِّن جمالي لها.

- الأيديولوجيا آلة لصياغة عالم الكاتب، وانطلاقاً منها يصل الكاتب إلى موقف ورؤية خاصة يلبسها لشخصيَّات عمله الروائي.

- الأيديولوجيا عند الغرب مصطلح متشعِّب الأطراف، يفسره كلٌ حسب توجُّهه، لكن أغلب تفرُّعاته تحيل إلى الأفكار، الطبقات والمجتمع، أمّا عند العرب فالأيديولوجيا تصبُّ في خانة السِّياسة، وكذلك تلك المعتقدات والأفكار التي يتشارك فيها النَّاس.

- الصِّراع ظاهرة سلوكيَّة وعمليَّة تفاعل طرفين أو أكثر، يقوم على الإختلاف وتباين الرؤى، ولعلَّ أبرز صراع كان بين العرب والغرب، بذريعة الدِّين (الإسلام وغيره).

- الأدب بناء دلالي يحمل عوالم حياة الفرد ومجتمعه والأيديولوجيا ضرورة حتمية في الأدب، لكونها نسق من المعتقدات لعصر ما، تتشكَّل داخل الأعمال الأدبية والرواية أكثرها عمقاً باعتبارها أهم الآثار الهادفة في أيَّامنا.

- رواية الموت عمل شاق، خطاب سوري يعانق محراب الحداثة بحرقه لقواعد البناء الروائي الكلاسيكي فهو يبشر بأيديولوجيا جديدة على ضوء طريق يكشف لنا حيوات إخوة ثلاثة جمعتهم الموت وهشَّمتهم الحرب.

- لقد تناول الكاتب نفسيَّة المواطن السُّوري، الذي أصبح الموت عنده في زمن الخراب عملاً شاقاً في ضوء صراعات مختلفة، فالصراع السِّياسي يتبلور في تناحر الاستراتيجيَّات

والمصالح، أماَّ الصراع الديني فهو نتيجة لتباين أديان الطوائف التي تعيش على أرض سوريا منذ زمن بعيد، ومن كلا الصراعين تتضارب الزوايا في الصراع الاجتماعي.

- تدمِّر الحرب كل أشكال الحياةومنابر الإنسانية وأرقى مشاعر البشر، لكن يبقى الحب بصيص أملٍ وحريَّة، إذْ يبشِّر بقدوم الشّمس ورحيل الغيوم.

- الثورة في سوريا حدث يجري مباركته عالمياً من الدول صاحبة النفوذ، فوثَّق الروائي هواجس الحبُّ والموت والخوف، تلك المشاعر التي صاحبت المواطن السُّوري، في هذه الحرب اللَّعينة.

- اعتمد الروائي خالد خليفة رمزية صادمة في صفحات عمله، إذْ أنَّ تشييع الأب عبد اللَّطيف رمز واضح لوداع سوريا التي دخلت نفقاً مظلماً لا تعرف له مخرجاً.

ولقد كانت هذه أبرز النقاط المتوصل إليها من خلال استنطاق رواية الموت عمل شاق فإن أصبنا فمن الله ﴿تعالى﴾ وإنْ أخطأنا فمن أنفسنا.

فهرس المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

خليفة خالد : الموت عمل شاق، دار نوفل، هاشيت، أنطوان العربية، (ط01)، بيروت ،لبنان، 2016م.

أولا المراجع العربية:

1- أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، (دط)، 2005م.

2- البازغي سعد و الرويلي ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، (ط04). بيروت- الدار البيضاء، 2005م.

3- جهاد عطا نعيسة، في مشكلات السرد الروائي، قراءة خلافية، منشورات إتحاد الكتاب العربي، (دط)، دمشق- سورية. 2001م.

4- حمد خليفة حسن، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مركز الدراسات الشرقية. (دط)، القاهرة- مصر، 2003م.

5- حميدان الحميداني، النقد الروائي والإيولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافة العربية. (ط01)، بيروت- لبنان، 1991م.

6- عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، علم المعرفة، (دط). الكويت، 1989م.

7- عبد السلام محمد الشاذلي، شخصيَة المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة. (ط01)، بيروت- لبنان، 1985م.

8- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، (ط05)، الدار البيضاء- المغرب، 1933م.

9- عبد الوهاب الكيلالي: موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، (د.ط).

10- علي حرب، الحب والفناء تأملات في المرأة والعشق والجود، دار المناهل، (ط01). بيروت- لبنان، (1411هـ-1990م).

11- عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر. 1984م.

12- غرامشي، عن طريق النصوص، جمع و مقدمة فرنسوار بسكي، المطبوعات الاجتماعية. باريس، 1977م.

13- فضل الله محمد إسماعيل، عبد الرحمان خليفة، الأيديولوجيا وفلسفة الحضارة، مكتبة سيتان المعرفة، (ط05)، الإسكندرية- مصر، 2005م.

14- القريوتي محمد، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، (ط05). عمان- الأردن، 2009م.

15- القس د. متري الراهب، الربيع العربي ومسيحيو الشرق الأوسط، ديار للنشر، (دط). بيت لحم- فلسطين، 2012م.

16- كمال بلحسن، الأدب والإديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر. 1984م.

17- لويس ألتوسير، من أجل ماركس، دار ماسيبيرو، (دط)، باريس، 1965م.

18- محمد حسن عبد الله، الريف في الرِّواية العربية، عالم المعرفة، (دط)، الكويت، 1989م

19- محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، (ط01). 2009م.

20- محمد خليفة حسن، المسلمون والحوار الحضاريمع الآخر، مركز الدراسات الشرقية، (دط)، القاهرة- مصر، 2003م.

21- نسيم الصمادي، خلاصات كتب المدير رجل الأعمال، (دط)، القاهرة- مصر. 2002م، ص:01

22- نيقولاس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا (الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة 1961م-1995م)، مكتبة مدبولي، (ط01)، القاهرة- مصر، 1995م.

23- يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، (ط02)، بيروت- الدار البيضاء، 2001م.

ثانيا المعاجم:

24- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، (ط03)، بيروت- لبنان، 2004م.

25- عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (ط01)، القاهرة- مصر. 2008م

26- أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، إش: صبحي حموي، دار المشرق، بيروت- لبنان، (ط01). 2000م.

27- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة، (ط01)، عمان- الأردن. 2009م،

ثالثا الكتب باللغة الفرنسية والإنجليزية:

1-Lucien goldman: pour une sociologie du roman, éditions Galimard,Paris,1964.

2-Gabriel Baer, Population and Society in the arab East, London, 1964.

رابعا مواقع الأنترنت:

1. جولي مراد، تأمُّلات معاصرة في الحرب والموت، دمشق- سورية، WWW.maaber.org

2. نبيل شبيب، الخلفية الدينية والطائفية للوضع السياسي في سوريا، الدوحة- قطر، تاريخ الاطلاع 2004/10/03م. التوقيت19:47 حسب توقيت مكة المكرَّمة، الموافق لـ 1425 /08/19هـ: www.algazeera.net .

خامسا المراجع المترجمة:

1- آلان باديو، في مدح الحب، تر: غادة الحلواني، التنوير والطباعة والنشر، (ط01). بيروت- لبنان، 2014م.

2- أندروهيد، مدخل إلى الإديولوجيا السياسية، تر: محمد صفار، المركز القومي للتربية. (ط01)، القاهرة- مصر، 2012م.

3- باتريك زوسكيند، عن الحب والموت، تر: نبيل الحفار، تق: لطيفة الدليمي، دار الهدى، (ط01)، بيروت- لبنان، 2017م.

4- تيري إنيجلتون، النقد والأديولوجية، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، عمان- الأردن، (دط)، (دت).

5- جورج لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الأندلس، (دط). بيروت- لبنان، 1979م.

6- جورج لوكاتش، الرواية، تر: مزراق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر. 1984م.

7- زيما بيير، النقد الاجتماعي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر، (ط01)، القاهرة- مصر. 1991م.

8- ديمون، ف: الإيديولوجيات، تر: الأستاذ أسعد وجيه ، منشورات وزارة الإرشاد القومي، دمشق- سورية، 1977م.

9- سيغموند فرويد، أفكار لأزمة الحرب والموت، تر: سيميوكوم، دار الطليعة، (ط01). بيروت- لبنان، 1977م.

10- سيغموند فرويد، الحب والحضارة والموت، تر: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، (ط02). القاهرة- مصر، (1412هـ-1992م).

11- صامويل هنجتون، صدام الحضارات(إعادة صنع النظام العالمي)، تر: طلعت الشايب، تق: صلاح قنصوة، القاهرة- مصر. 1999م.

12- كارل ماركس، فريدريك أنجلز، الإيديولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، مصادر الإشتراكية العلمية، دار دمشق، (ط01). دمشق-سورية، 1976م.

13- مجموعة من المؤلفين، الرواية والواقع، تر: رشيد بن حدو، دار قرطبة، عيون المقالات. (ط01)، الدار البيضاء- المغرب، 1988م.

سادسا المجلات:

1- أدونيس، دراسة مفتوحة إلى الرئيس بشار الأسد- الإنسان، حقوقه وحريَّاته، أو الهاوية. الحوار المتمدن، (ع3396). 2011/09/14م، ص:06.

2- تيري إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي (الأدب والتاريخ)، تر: عبد البني أصطيف، مجلة الآداب الأجنبية، العدد:48. السنة:13، 1986م.

3- علي الربيعي، في نقد العنف، الجديد، (ع31)، 31 أغسطس/ آب، لندن- بريطانيا.

4- محمد سيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الإديولوجيا، دار توبقال للنشر، (ط01)، الدار البيضاء-المغرب، 2006م، مجلة دفاتر، (ع08).

سابعا الرسائل الجامعية السابقة:

1.يابوري زليخة، غروق سليمة، الأب والسُّلطة الذكوريَّة في الرِّواية النسويَّة الجزائرية، (رواية رجالي لمليكة مقدَّم أنموذجاً)، إشراف: ليندة مسالي، جامعة بيجاية- الجزائر، 2015م - 2016م. (مذكرة ماستر)،

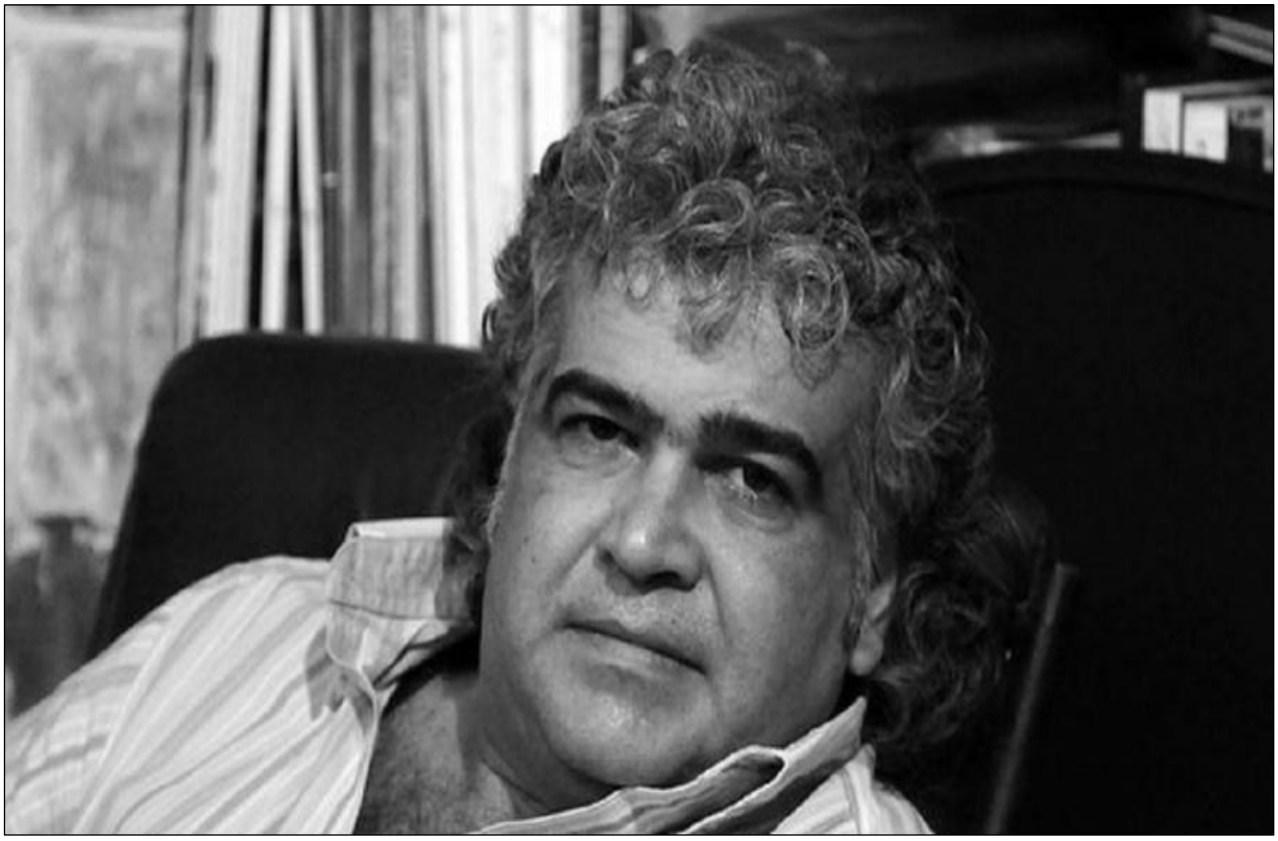

خالد خليفة ولد عام 1964 في أورم الصغرى حلب .(روائي سوري و كاتب سيناريو مقالات ادبية. جذبت روايته مديح الكراهية اهتمام وسائل الاعلام في جميع انحاء العالم ,ووصلت الرواية للقائمة القصيرة في الجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها الاولى في عام 2008. ترجمت روايته إلى اللغات (الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، النروجية، الإنكليزية، الإسبانية.

السيرة الذاتية

درس في جامعة حلب وحصل على ليسانس في القانون في عام 1988، يكتب الشعر وهو عضو في المنتدى الأدبي في الجامعة. كتب خليفة دراما تلفزيونية مثل مسلسل (قوس قزح) و (سيرة آل الجلالي) وبعض الأفلام الوثائقية والأفلام القصيرة، والأفلام الروائية الطويلة (فلم باب المقام .(اسس مع اصدقاءه في جامعة حلب مجلة ألف، أول رواية له هي حارس الخديعة ونشرت في عام 1993. روايته الثانية هي دفاتر القرباط وعلى اثرها تم تجميد عضويته من قبل اتحاد الكتاب العرب لمدة 4 سنوات بعد أن نشر الرواية في عام 2000.

قضى خليفة ثلاثة عشر سنة في كتابة رواية مديح الكراهية، وهي رواية تتكلم عن كيفية تأثر حياة افراد اسرة سورية بالحرب الدائرة بين النظام السوري والإخوان المسلمون ,ونشر فيها ما جرى لجماعة الاخوان المسلمون في حماة .وقد نشرت في دمشق قبل ان يتم حظرها، ولاحقاً تم إعادة نشرها فيبيروت .حيث يعلق على الحظر قائلاً "هذا النوع من الحظر للروايات، يأتي نتيجة البيروقراطية التي لا تمثل مستويات رفيعة من الحكومة." وبأنه يفضل التفاوض بين الفنانين والسلطات السورية من اجل ضمان حرية التعبير.

منذ 2009 يعمل على روايته الجديدة حياة موازية.صرح بأن عمله لا يقصد مناصرة أي فكر سياسي، وفي الرد على روايته مديح الكراهية قال "قبل كل شيء، لقد كتبت هذه الرواية من اجل الدفاع عن الشعب السوري، وسعياً للإحتجاج على المعاناة التي تحملوها نتيجة ذلك من العقائد الدينية والسياسية التي حاولت نفي حضارتهم العائدة لعشر آلاف سنة".

في السادس من شهر آذار فرض اسمه كالمرشح العربي الوحيد لنيل جائزة الإندبندنت لأدب الخيال الأجنبي.

مشاركته في الثورة السورية عرف خليفة بمواقفه المناصرة للثورة السورية منذ لحظة انطلاقها، ولم يخف ذلك أبداً حيث أكد في أكثر من مناسبة مشروعيتها كخيار لا بديل عنه في مواجهة الظلم. كما سبق أن تعرض للضرب حتى كسرت يده خلال اعتداء أجهزة الأمن السورية عليه أثناء مشاركته في تشييع الموسيقي السوريربيع غزي في 26 أيار 2012.

من مؤلفات

_2016الموت عمل شاق.

_2013*لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة(حصلت على جائزة نجيب محفوظ للرواية ووصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية البوكر.(*

_2008مديح الكراهية رشحت لجائزة الاندبنت العالمية وكذلك لجائزة البوكر العربية.

_2000*دفاتر القرباط.*

_1993*حارس الخديعة.*

المسلسلات مسلسل قوس قزح 2000.مسلسل سيرة آل الجلالي 2000.مسلسل العراب – نادي الشرق الموسم الثاني 2016.

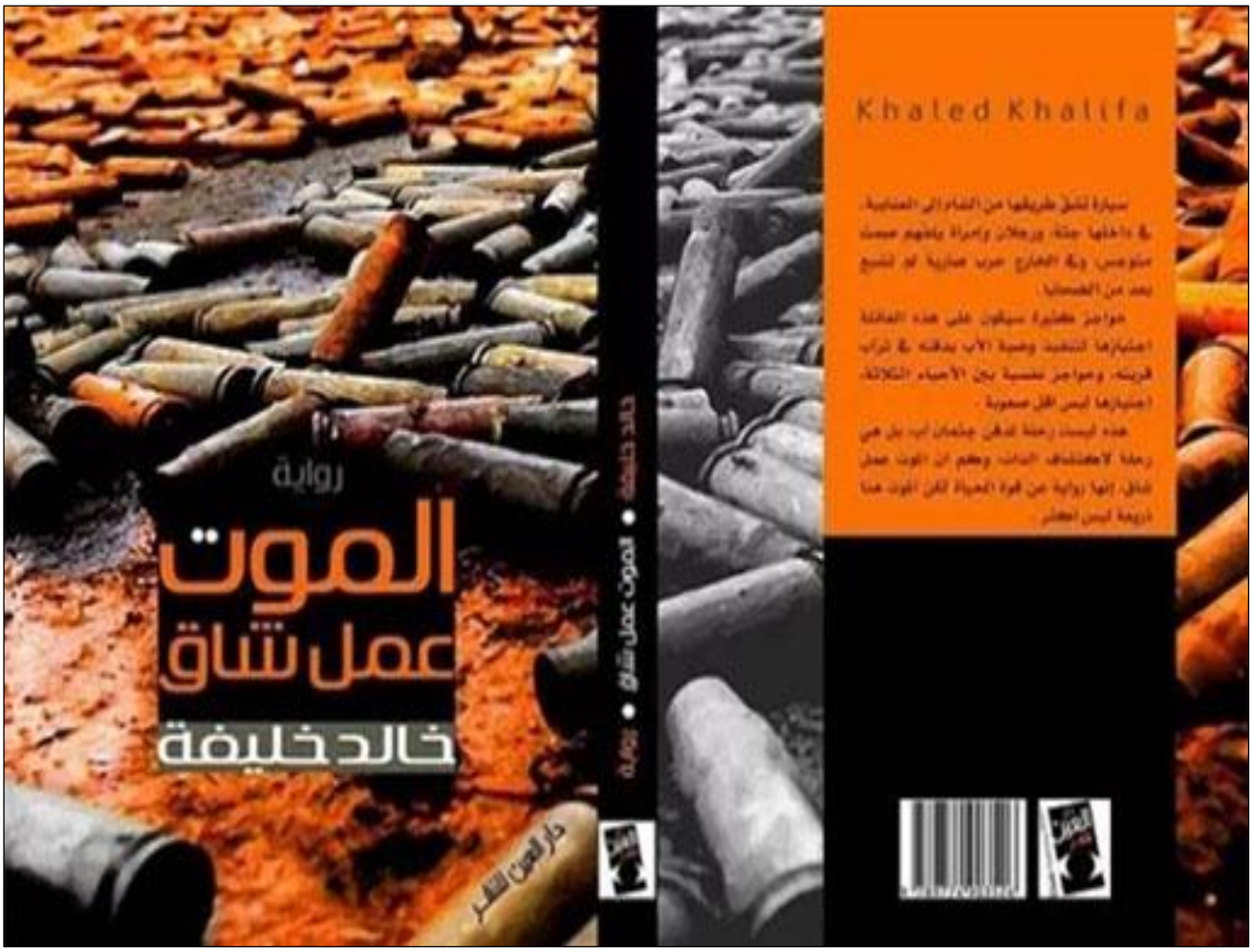

سيّارة تشقّ طريقها من الشام إلى العنابيّة. في داخلها جثّة، ورجلان وامرأة، يلفّهم صمت متوجّس، وفي الخارج حرب ضارية لم تشبع بعد من الضحايا.
حواجز كثيرة سيكون على هذه العائلة اجتيازها على الأرض لتنفيذ وصيّة الأب بدفنه في تراب قريته،
وحواجز أخرى نفسيّة بين الأحياء الثلاثة، اجتيازها ليس أقلّ صعوبة.
هذه ليست رحلة لدفن جثمان أب، بل هي رحلة لاكتشاف الذات، وكم أنّ الموت عمل شاقّ.
إنّها رواية عن قوّة الحياة، لكنّ الموت هنا ذريعة ليس أكثر.

فهرس الجداول:

1- الصراع السياسي 36

2-الصراع الاجتماعي:.....40

3-الصراع الديني:.....46

فهرس الموضوعات

العناويـــــــــــــــن	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-جـ
مدخل: علاقة الأيديولوجيا بالنص الروائي (النشأة والتطور)	7
أيديولوجيا الرواية	11
رواية الأيديولوجيا	13
الفصل الأول: جينالوجيا المصطلح	
الأيديولوجيا لغة	17
الأيديولوجيا إصطلاحا	19
الصراع لغة	24
الصراع اصطلاحاً	25
الأدب والايديولوجيا	28
الفصل الثاني: تمظهرات الصراع في رواية الموت عمل شاق	
الصراع السياسي والاجتماعي والديني	
الموت والحب زمن الحرب	64
رمزية الأب في الرواية	76
خاتمة	79
ملحق	
فهرس	